جمهورية مصر العربيـــة – وزارة التعليم العالى – الإدارة العامة للتمثيل الثقـــافى

مَجلة المَعهدِ المصْريّ

لِلدّراساتِ الإسلاَميّةِ فِى مَدريد



المجلد الحادى والعشرون

مدريد ١٩٨١ – ١٩٨٢

الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة

لابن سماك العاملى

أبى القاسم محمد بن أبى العلاء محمد بن سماك المالقى الغرناطى
(النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى)

(بقية ما نشر فى العدد السابق)

الزهرة الخامسة والثلاثون :

[٦ ب] قيل لبعضِ الأمراء إنَّ شبيبَ بن شَيْبَة[١] يستعملُ الكلام ويستدْعِيه ولو أَمَرْتَه أن يَصْعَدَ المِنْبَرَ فُجَاءَةً لافتضح . فأمر رَسُولاً فأخذ بيده فصَعِد المنبرَ ، فحمدَ الله وأثنى عليه وصلَّى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال[٢] : لأميرِ المؤمنين أشباهٌ أربعةٌ[٣] : الأسَدُ الخادِر ، والبحرُ الزاخِرُ ، والقمر الباهر ، والربيع الناضرُ[٤] ؛ فأما الأسد الخادرُ فأشبَه صولَتَه ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبهَ جُوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبه نُورَه وضِياءه ، وأما الربيع الناضر فأشْبَه حُسْنَه وبَهاءه .

الزهرة السادسة والثلاثون :

كتب عليٌّ بن عِيسى بن ماهَان[٥] إلى الرشيد يسعى بيحيى بن خالد بن

---

(١) أبو معمر شبيب بن شيبة المنقرى البصرى قدم بغداد أيام أبى جعفر المنصور فاتصل به وابنه الخليفة المهدى وكان أثيراً لديهما ، وتوفى سنة ١٦٢ (٧٧٩) وكان من أكابر الخطباء ، ترجم له الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (رقم ٤٨٣٦ — ٩ / ٢٧٤ — ٢٧٨) وأورد الجاحظ وابن عبد ربه كثيراً من أخباره وخطبه وأجوبته فى البيان والتبيين والعقد الفريد (انظر فهرسى هذين الكتابين) .

(٢) يبدو لنا أن هذه الخطبة منتحلة مصنوعة ، فأسلوبها الذى يثقله السجع المتكلف والصنعة المفرطة لا يتفق مع ما أثر عن خطب شبيب بن شيبة . هذا وإن كان الخبر المذكور هنا قد ورد أيضاً فى العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/١٣٦) وكذلك فى نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى (٣/١٨٠)

(٣) فى ا : إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة : فنها .

(٤) فى ا : الناظر .

(٥) على بن عيسى بن ماهان من كبار رجال الدولة منذ أيام الخليفة الهادى ، فقد ولاه ديوان الجند ، ثم ولاه الرشيد على خراسان ، ثم قلده فارس ، وكان ممن حرض الرشيد على الإيقاع بالبرامكة =

برمك وابنيْهِ الفضلِ وجعفر ، وكانت تحتَهُ أُخْتُهُمَا ، فرَمَى الرشيد بالكتاب إلى جعفر ، وقال : أجِبْهُ . فكتب على ظهره(١) : « حَفِظَكَ اللهُ يا أخى وحَبَّبَ إليك الوفاء فقد أَبغَضْتَه ، وبغَّضَ إليك [الغَدْرَ](٢) فقد أَحْبَبْتَه ، إنَّ حُسْنَ الظنِّ بالأيام داعِيةُ الغِيَر ، وماحِيةُ الأثر ، واللهُ المستعانُ ، وعليه التُّكلان » .

الزهرة السابعة والثلاثون :

قال أبو العَبَّاسِ أحمدُ بن أبى خالدٍ(٣) وزيرُ المأمونِ يوماً لثُمَامة بن أَشْرَسَ(٤) وقد انحرفَ عنه : يا ثمامة ، كلُّ أحدٍ فى الدارِ فله عندى معنًى

= على الرغم من صهره إليهم ، وقام بعد ذلك بأمر الأمين الذى عقد له على كور الجبال ، وكان ممن حلوا الأمين على خلع أخيه المأمون ، وأخرجه الأمين لقتال طاهر بن الحسين فى الحرب الأهلية الدائرة بين الأخوين فقتل سنة ١٩٥ (٨١١) . انظر فى أخباره الجهشيارى : الوزراء والكتاب فى مواضع متفرقة ، وخصوصاً ص ٢٥٢ — ٢٥٤ و ٢٩٠ — ٢٩٤ ، وانظر فى خبر مصرعه الطبرى : تاريخ ٧ / ١ — ٢٢

(١) أورد الجهشيارى (الوزراء والكتاب ص ٢٠٥) توقيعاً لجعفر بن يحيي على كتاب لعلى بن عيسى المذكور شديد الشبه بالتوقيع الوارد هنا ، يقول فيه : « حبب إلينا الوفاء الذى أبغضته ، وبغض الغدر الذى أحببته ، فما جزاء الأيام أن تحسن ظنك بها وقد رأيت غدراتها ووقعاتها عيانا وإخباراً . والسلام » .

(٢) « الغدر » ساقطة من ب .

(٣) أبو العباس أحمد بن أبى خالد المعروف بالأحول كان كاتباً للحسن بن سهل وزير المأمون ، ثم رفعه المأمون إلى وزارته . وتوفى سنة ٢١٠ (٨٢٥) . انظر فى ترجمته الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٨٣ — ١٨٧ ، وابن الأبار : إعتاب الكتاب ، تحقيق الدكتور صالح الأشتر ، ط. دمشق ١٩٦١ ، ص ١٠٩ — ١١٣ ؛ ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٩١ — ١٩٢

(٤) أبو معن ثمامة بن أشرس النميرى كان من زعماء المعتزلة فى أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وقتل فى عهد هذا الأخير (بين سنتى ٢٢٧ و ٢٣٢) . انظر فى ترجمته الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، رقم ٣٦٠١ (٧/١٤٥ — ١٤٨) ، ابن حجر العسقلانى : لسان الميزان ، حيدراباد ١٣٣٠ ، ٢ / ٨٤ ؛ والعقد الفريد فى مواضع كثيرة ؛ ومن المراجع الحديثة : أحمد أمين : ضحى الاسلام ٣ / ١٤٩ — ١٥٥

غيرَكَ ! فقال [131] له ثمامة : معناىَ فى الدار بَيِّنٌ واضحٌ . قال : وما هُوَ ؟ قال : لأُشَاوِرَ فى أمرِكَ هل تصلُحُ لموضِعِكَ أمْ لا ، وأرجُو ألاَّ أكونَ أخطأْتُ فيكَ . فأُفْحِمَ ولم يَرُدَّ جواباً(١) .

الزهرة الثامنة والثلاثون :

كان سليمانُ بن عبد الملك بن مَرْوَانَ أيام أَبيه وأخيه يكتب إلى الحجَّاجِ [١٧ا] بن يوسف فى عنايَةٍ أو حاجَةٍ داعيةٍ ، فلا يلتفتُ إلى كتابه ، ولا يعتذرُ إليه بجوابِهِ ، إذ كان عظيمَ الهمَّةِ قوىَّ النفسِ ، لا يَهابُ بشراً صغيراً ولا كبيراً سوى من أمَّره . فأحْفَظَ سليمانَ وأجَّج غيظه ، فكتب إليه(٢) : « من سليمانَ بنِ عبد الملك إلى الحجاج المُعَلِّمِ(٣) ؛ أما بعد ؛ فإنك عبدٌ أفسدتكَ النِّعمةُ ، وجَرَّأَكَ الحلم ، مهتوكٌ عندك حجابُ الحقِّ ، مستخِفٌّ بأوامر الله عز وجل ، مُباعِدٌ لرضاه ، متقرِّبٌ بسُخْطِه ، مُتَّبِعٌ لهواكَ . وأَيْمُ الله لا بُدَّ لك من صَيْحَةٍ مُرْدِيَةٍ تحلُّ بك ويسوءُ صباحُك ، ثم يكونُ مصيرُكَ فى الآخرةِ سُوءَ المصيرِ » .

فراجَعَهُ الحجَّاجُ : « أما بعدُ ؛ فقد وَصَل كتابُ الأمير بهتْفِ(٤) صبِىّ حدثِ السنِّ قليــل التثبُّتِ ، ولعمرى لقد عَذَرْتُكَ فى سوء أدبك لفسادِ

---

(١) جاء الخبر الوارد هنا بين أحمد بن أبى خالد الوزير وثمامة بن أشرس فى أخبار بغداد لابن أبى الطاهر طيفور ص ٢٢٨ .

(٢) أورد ابن عبد ربه فى ثنايا حديثه عن الحجاج رسالتين متبادلتين بين سليمان بن عبد الملك وبينه تشبهان الرسالتين الواردتين هنا وإن اختلف نصاهما . انظر العقد الفريد ٥ / ٤١ — ٤٣

(٣) ذكر مترجمو الحجاج أنه كان معلم صبيان بالطائف ، وكذلك كان أبوه ، وبهذه المهنة هجاه مالك بن الريب التميمى فى أبيات معروفة (انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/١٣)

(٤) غير واضحة فى الأصلين ، ولعلها كما أثبتنا والهتف هو الصوت الجافى العالى .

عقلك ، وحلمُك لأَنّا كلَّنا خَوَلُ أمير المؤمنين ، فكتبْتَ والسلطان يملى عليك ، والعزة بين عينيك ، ولطالما ذَلَّلْتُ لكمُ الصِّعابَ ، وأخضعت لكم الرقابَ ، والسلام » .

الزهرة التاسعة والثلاثون :

كان الناسُ إذا أصبحوا فى زمنِ الحجَّاجِ بن يوسُف فتلاقوا يتساءلون : مَن قُتلَ البارحة ؟ ومن صُلِبَ ؟ ومن جُلد ؟ ومن قُطِع ؟ . . . فى أمثال ذلك ؛ وكانوا فى زمن الوليد بن عبد الملك يتساءلون عن البُنْيَانِ ، واتخاذ المصانِع ، وشقِّ الأنهارِ ، وغرسِ الأشجار ؛ وكانوا فى زمن سليمان بن عبد الملك يتحدثون فى الأطعمة الطَّيِّبة ، والملابس الرفيعة ، ويتوسَّعون فى الأنكِحَة واتخاذ [132] السَّرارِىِّ ، ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك[١] ؛ وكانوا فى زمن عمرَ بن عبد العزيز يتساءلون : كم تحفظ من القرآن ؟ وكم وِرْدُكَ فى كل ليلة ؟ ومتى تختِمُ ؟ وكم تصومُ من الشهر ؟ . . . فى أمثال ذلك ، [٧ ب] بحَسْبِ الأزمان واختلاف السِّيَر ومألوفِ العوائدِ .

الزهرة الأربعون :

أُتِىَ الخليفةُ أبو جعفر المنصورُ بعبدِ الحميدِ بن يحيى الكاتِبِ الشهيرِ كاتبِ بنى أمية ، وبسَلاَمٍ الحادى ، وبالبَعْلَبَكىِّ المؤذِّن[٢] ، فأمر بقتلهم ؛ فقال

---

(١) فى ا : بذلك .

(٢) يذكر الجهشيارى أن أبا جعفر المنصور كثيراً ما كان يقول بعد إفضاء الأمر إلى بنى العباس : غلبنـــا بنو مروان بثلاثة أشياء : بالحجاج وبعبد الحميد بن يحيى الكاتب والمؤذن البعلبكى . (انظر الوزراء والكتاب ص ٨١) .

له سلام : استبقِني يا أمير المؤمنين ، فإنّي حَسَنُ الحُدَاء . قال : وما بَلَغَ من حُدَائِك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تأمُرُ بإبِلٍ ، فتُظمأ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم تورَدُ على الماء ، فإذا بَدأتْ[1] تشربُ رفعتُ صوْتي بالحداءِ فترفع رؤوسها وتدع الشربَ حتى أسكتَ ! فأمر المنصور بإبل فعُطِّشت ثلاثاً ، ثم أُورِدت الماءَ[2] ، فلما بدأت تشربُ رفع صوته بالحداء ، فامتنعت من الشرب حتى سكت ؛ فاستبقاه وأجازَه وأجرى عليه رزقَه .

ثم قال له البعلبكيُّ : استبقني يا أمير المؤمنين . قال : وما عندك ؟ قال : أنا مؤذن . قال : وما بلغ من أذانك ؟ قال : تأمر جارية فتقدم إليك طستاً وبيدها إبريق ، فتصب على يدك الماء ، وأبتدئ بالأذان[3] ، فتدهَش ويذهب عقلها حتى يسقط الإبريق من يدها وهى لا تعلم . فأمر عند ذلك جارية فأخذت إبريقاً وطستاً وجعلت تصب الماء على يده ، ورفع البعلبكى صوته بالأذان ، فبقيت شاخصة مستمعة صوته ناسية لما بيدها[4] ؛ فوقع الإبريق على الطست من يدها ، فأمرها بالانصراف واستبقاه وأجازه .

وأما الكاتب عبد الحميد[5] فاستبقاه ووصله لفصاحة لسانه وشهرته [133] فى الكتابة وتبريزه فى صناعتها[6] .

---

(١) فى الأصلين : بدت .

(٢) فى ا : أوردت على الماء .

(٣) فى ا : الأذان .

(٤) فى ا : بين يديها .

(٥) عن عبد الحميد بن يحيى الكاتب انظر الفصل الذى كتبه عنه الدكتور شوقى ضيف فى تاريخ الأدب العربى ، العصر الاسلامى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ١٩٦٣ ص ٤٧٣ والمراجع المذكورة فى الحاشية .

(٦) ما يذكره صاحب الزهرات هنا من استبقاء أبى جعفر المنصور لعبد الحميد الكاتب وصلته له يخالف ما اتفق عليه المؤرخون من أنه قتل على عهد أبى العباس السفاح بعد مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بقليل . ويذكر الجهشيارى فى صفة مصرعه أن عامر بن اسماعيل السلمى الذى قتل مروان بن محمد ظفر به فحمله إلى السفاح وسلمه هذا إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمى =

الزهرة الحادية والأربعون :

كان مَعْنُ بن زائدة [١] قد أمر بقتــل جماعةٍ من الأسارَى ، فقام إليه أصغر القوم ، فقال له : أيها الأمير ، أتقتلُ القومَ عِطاشاً ؟ فأمر لهم بالماء . فلما سُقُوا قال : أتقتلُ أضيافكَ ؟ فأمر [٢] بإطلاقهم [٣] .

الزهرة الثانية والأربعون :

سِيقَ إلى الحجّاج قومٌ من الخوارج ، فأمر بضرب أعناقهم ، حتى انتهى القتل فيهم إلى شاب منهم ، فقال له : والله يا حَجّاج ، لإن كنّا أسأنا فى الذنب فما أحسنتَ أنتَ فى العفوِ ، فصادفَ كلامُه منه أرْيَحِيَّةً ، فقال : أفّ لهذه الجِيَف ! أما كان فيهم من يقول مثــل هذا ؟ وأمر بتخلية سبيله وسبيل من بقى [٤] .

= طستا ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى قتله (انظر الوزراء والكتاب ص ٧٩) . ولو كان ما ذكره صاحب الزهرات صحيحا لما فات ابن الأبار أن يذكره فى كتاب « إعتاب الكتاب » الذى اختص به موضوع من أذنب من الكتاب ثم لحقته مغفرة مولاه أو مليكه ورضاه .

(١) أبو الوليد معن بن زائدة الشيبانى أحد الفرسان الأجواد ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وكان من خواص أصحاب أبى جعفر المنصور ، ولاه اليمن وأذربيجان ، وتوفى قتيلا سنة ١٥٢ (٧٦٩) وهو وال على سجستان . انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ، رقم ٧٢٠٤ (١٣/٢٣٥ — ٢٤٤) . وفى العقد الفريد مجموعة كبيرة من أخباره فى مواضع متفرقة .

(٢) ينقطع النص بعد هذه الكلمة فى نسخة ب ويلى ذلك خرم طويل ذهبت فيه الزهرات (٤٢ — ٧٤) ، وهكذا سيكون اعتمادنا فى هذا الجزء من الكتاب على الأصل ا وحده . على أننا لاحظنا أن المقرى نقل فى كتابه نفح الطيب الزهرات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ فاتخذنا منه فى تلك الزهرات أصلا ثانيا .

(٣) أتى بهذا الخبر ابن عبد ربه فى العقد الفريد (١ / ١٢٥) وإن كانت ألفاظه تختلف قليلا عما ورد هنا .

(٤) فى عيون الأخبار لابن قتيبة (١٠٣/١) خبر قريب من هذا وإن اختلفت ألفاظه قليلا .

الزهرة الثالثة والأربعون :

ثار على الخليفة عبد الرحمن بن معاوية الداخل للأندلس ثائر ببعض بلاده ، فغزاه ، فظفر به وأسره ، فبينما هو منصرف به وقد حُمِل على بغلٍ نظر إليه عبد الرحمن وتحته فرس له ، فقال : يا بغلُ ، ماذا تحمل من الشقاق والنفاقِ ؟ قال الثائر : يا فرس ، ماذا تحمل من العفو والرحمة ؟ فقال له عبد الرحمن : والله ما تذوق موتاً على يدىَّ أبداً . وسرحه[(١)] .

الزهرة الرابعة والأربعون :

كان[(٢)] بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر فتًى من أهل الأدب ، قد رقَّتْ حالُه فى الطلب ، فتعلق بكُتَّابِ العَمَل ، واختلف إلى الخزانة مدة ، حتى قلِّد بعض الأعمال ، فاستهلك كثيراً من المال ، فلما ضُمَّ إلى الحساب أُبرز عليه ثلاثة آلاف دينار ، فرفع خبره إلى المنصور ، فأمر بإحضاره ، [134] فلما مثل بين يديه ، ولزم الإقرار بما برز عليه ، قال له : يا فاسق ، ما الذى جَرَّأَكَ على مال السلطانِ تنتهبُه ؟ فقال : قضاء غلب الرأْىَ ، وفقر أفسد الأمانة . فقال المنصور : والله لأجعلنَّكَ نكالاً لغيرك . ليُحْضَرْ كَبْلٌ وحَدَّادٌ . فأُحضرا ، فكُبِّل الفتى وقال : احملوهُ إلى السِّجن . وأمر الضاغط[(٣)] بامتحانهِ والشِّدَّة عليه . فلما قام أنشأ يقول : [من السريع]

---

(١) ورد مثل هذا الخبر فى البيان المغرب لابن عذارى المراكشى ٢/٥٩ ، وإن اختلفت ألفاظه بعض الشىء .

(٢) ورد نص هذه الزهرة فى نفح الطيب للمقرى ١/٤١٨

(٣) فى النفح : الضابط ، وهو تحريف عما أثبتنا ، ووردت الكلمة صحيحة فى ا ، وكان «الضاغط» فى الاصطلاح الأندلسى هو المكلف بتعذيب الجناة أو المحبوسين ونحن نعرف من هؤلاء الضاغطين بالذات واحداً كان فى خدمة المنصور بن أبى عامر يدعى واثقاً ، وهو الذى كلفه المنصور بصب عذابه وتنكيله على جعفر بن عثمان المصحفى (انظر ابن خاقان : مطمح الأنفس ص ٧) .

أَوّاهُ أَوّاهُ وكم[١] ذا أُرَى ... أُكْثِرُ من تَذْكَارِ أَوّاهِ
ما لامْرِئٍ حولٌ ولا قُوَّةٌ ... الحـــولُ والقــوةُ للهِ

فقال المنصور : رُدُّوه . فلما رُدَّ قال : أتمثَّلْتَ[٢] أم قلتَ ؟ قال : بل[٣] قلتُ . فقال : حُلُّو عنه كَبْلَه . فلما حُل عنه أنشأ يقول : [من السريع]

أما ترى عَفْـوَ أبى عامرٍ ... لابـــد أن تتبعَهُ مِنَّهْ
كذلك اللهُ إذا ما عفَـا ... عن عبدِهِ أدْخَلَهُ الجَنَّهْ[٤]

فأمر بإطلاقه ، وسوَّغه ذلك المالَ ، وأبرأه من التبِعةِ فيه .

الزهرة الخامسة والأربعون :

عُرِضَ[٥] على المنصورِ بْنِ أبى عامر اسمُ أحدِ خدَّامِه فى جملة من طالَ سَجْنه ، وكان شديدَ الحقدِ عليه ، فوقَّع على اسمه بأنْ لا سبيلَ إلى إطلاقِه حتى يَلْحَقَ بأُمِّه الهاوِيةِ ، وعَرف الرجل بتوقيعه ، فاغْتَمَّ ، وأجْهد نفسه فى الدُّعاء والمناجاة . فأَرِق المنصورُ بن أبى عامرٍ على أَثَرِ ذلك ، واسْتَدعى النومَ ، فلم يقدِرْ عليه . وكان يأتيه عند تَهوِيمه[٦] آتٍ كَريهُ الشخصِ عنيفُ الأَخْذِ ، يأمره بإطلاقِ الرجلِ ، ويتوعَّدُهُ على حَبْسِه . فاستدفع شأنه مِراراً ، إلى أن

(١) فى الأصل ا : كم ، والتصويب عن النفح .
(٢) فى الأصل : أعللت ، والصواب ما ورد فى النفح .
(٣) فى الأصل : بلى ، والتصويب عن النفح .
(٤) يروى ابن بسام فى الذخيرة هذين البيتين لأبى مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى (مع خلاف طفيف فى الرواية ، فقد جاء الشطر الأول من البيت الأول هكذا : «عجبت من عفو أبى عامر»)، وذلك بعد أن صفح عنه المنصور بعد سجنه فى مطبق الزاهرة (انظر الذخيرة ق ٤ – ٣٢/١ . وانظر كذلك ابن سعيد : المغرب ٣٢١/١ ؛ والمقرى : نفح الطيب ٦٦/٤) .
(٥) ورد نص هذه الزهرة أيضاً عن المقرى : نفح ٤١٩/١
(٦) فى النفح «تنويمه» ، وهو تحريف عما أثبتنا ، ووردت الكلمة صحيحة فى ا ، والتهويم هو النوم الخفيف أو أول النوم قبل الاستغراق فيه .

عَلِم أنه نذيرٌ من ربِّه ، فانقادَ لأمره ، ودعا بالدواةِ فى مَرْقَدِهِ . فكَتَبَ بإطلاقه ، وقال فى كتابِه : هذا طَليقُ اللهِ على رَغْم أنفِ ابن أبى عامرٍ . وتحدَّث الناسُ زماناً بما كانَ منه .

[135] الزهرة السادسة والأربعون :

لما أُمِرَ[1] بضَمِّ الوزيرِ جعفر بن عثمانَ المُصْحَفِىِّ إلى الثِّقافِ بمُطْبَقِ الزهراء وَدَّعَ أهلَه ووَلَدَهُ وداعَ الفُرْقَةِ ، وقال : لَسْتم تَروْنى بَعدها حَيّا ، فقد أَنَى وَقتُ إجابة الدَّعوَةِ ، وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة ، وذلك أَنِّى أشرفت على فلانٍ ، رجلٍ سُجِن بعهد الناصر ، وما أطلقته إلا برؤيا أُنْذِرْتُ بها : قيلَ لى «أَطْلِقْ فلاناً فقد أُجيبَتْ فيكَ دعوتُه» ، فأطلقته وأحْضرته وسألته ، فقال : نعم ، دَعَوْتُ على مَن شاركَ فى أمرى أن يُميتَه الله فى أَضْيَقِ السجونِ . فعلمتُ أنها قد أُجيبَتْ . وَنَدِمْتُ بحيثُ لا تُغنى النَّدامة . وأطلقتُ الرجلَ .

قالوا : فما لَبِثَ فى مَحبِسِهِ إلا قليلاً ، وأُخْرِجَ مَيِّتاً ، فسُلِّمَ إلى أَهْلِهِ .

الزهرة السابعة والأربعون :

لما[2] أَوْقَعَ[3] المأمونُ بالفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ[4] وبَلَغَهُ أنَّ الناسَ يُنْكِرون

---

(١) ورد نص هذه الزهره بألفاظ قريبة مما وردت به هنا فى نفح الطيب (١/٦٠١) ولكن المقرى يذكر أنه نقل النص عن كتاب «روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار» لمؤلف لم يفصح عن اسمه ، ووردت القصة أيضاً فى الذخيرة لابن بسام ق ٤ — ١/٥٠

(٢) بهذا النص وردت الزهرة السابعة والأربعون فى الأصل ا ، غير أن المقرى ساق فى كتابه نفح الطيب لهذه الزهرة نصا آخر مختلفا عما ورد هنا كل الاختلاف بعد أن نصت إحدى مخطوطات النفح على أنها الزهرة السابعة والأربعون ، ولكن يبدو أن ذلك كان من أخطاء الناسخ أوقعه=

عليه قال : من يَعْذِرُنا[١] من العامّةِ ؟ نختَصُّ خديمــاً ، ونوسِعُ عليه ، ونُفوِّضُ إليه ، فيخوننا ويسعَى على مُلْـكِنا ، ويَسْفِرُ فى هُلْـكِنا ، مُنكراً لإحساننا ، عند رَدِّه عن حاجةٍ قد قُضِىَ له ألفٌ منها ، ومَنْعِهِ رُتْبَةَ الصلاح له فى تركها ، فيَغيبُ عنهم ذَنْبُه ، وتنكشفُ لهم عقوبتُه ، فيقولون عنّـا : لَيْسُوا بِذَوى[٢] وفاءٍ ! وقد جَهِلوا مقدارَ الابتلاءِ .

الزهرة الثامنة والأربعون :

اِنْتَهَتْ[٣] هَيْبَـةُ المنصور بن أبى عامر وضبطُه للجند واستخدامُ[٤] ذكورِ الرجالِ وقوّام الملكِ إلى غايةٍ لم يؤْتَها مَلكٌ قبله[٥] ، فكانت مواقفهم فى الميدان على احتفاله مثلاً فى الزَّماتة والإطراق[٦] حتى إن الخيلَ لتمتثل[٧] إطراق فرسانها ، فلا تُكْثِرُ الصهيلَ والحَمْحَمَةَ .

= فيه أن القصة متصلة بمقتطفات من كتابنا هذا ، فلعله ظن أنها بدورها إحدى الزهرات المأخوذة عنه . ومع ذلك فسنورد نص هذه الزهرة نقلا عن نفح الطيب (١/٤٢٠) :

«حكى غير واحد أن المنصور كان به داء فى رجله ، واحتــاج إلى الكى ، فأمر الذى يكويه بذلك وهو قاعد فى موضع مشرف على أهل مملكته ، فجعل يأمر وينهى ويفرى الفرى فى أموره ، ورجله تكوى ، والناس لا يشعرون ، حتى شموا رائحــة الجلد واللحم ، فتعجبوا من ذلك ، وهو غير مكترث » . ونص هذا الخبر قريب جداً مما نقله ابن عذارى فى البيان المغرب (٢/٣٠٠ — ٣٠١) عن ابن حيان ، وإن كان نص ابن حيان أكثر تفصيلا وأدق فى تحديد ظروف هذا الخبر ومكانه .

(٣) فى الأصل : وقم ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٤) الفضل بن سهل السرخسى أسلم على يد المأمون ثم وزر له فاستولى على أمور الدولة حتى ضاق به المأمون فأوقع به ودبر مقتله سنة ٢٠٢ (وفيات الأعيان رقم ٥٢٩ — ٤ / ٤١ — ٤٤) .

(١) فى الأصل : تعذرنا .

(٢) فى الأصل : بذى .

(٣) ورد نص هذه الزهرة فى نفح الطيب ١/٤١٩ منقولة عن هذا الكتاب وبنفس رقمها المثبت وإن كانت قد وردت فى بعض أصول النفح المخطوطة برقم الزهرة السادسة والأربعين .

(٤) فى الأصل : وهم ، وقد تبعنا قراءة النفح .

(٥) فى النفح : لم يصلها ملك من قبله .

(٦) فى النفح : مثلا فى الإطراق . وفى الأصل زيادة بيان ، وإن كان لفظ «الزماتة» قد جاء فى المخطوطة «الزمانة» ، والصواب ما أثبتنا . والزماتة الصمت والسكون .

(٧) فى النفح : لتتمثل ، وما ورد فى الأصل أصوب .

ولقد وَقعتْ عينُه على بارِقَةِ [136] سيفٍ قد سَلَّهُ بعض الجندِ بأقصى الميدان لهزلٍ أو جِدّ بحيث ظنَّ أن لحْظَ المنصورِ لا يناله . فقال : عَلَيَّ بشاهر السيف . فمثل بين يديه لوقته . فقال : ما حملك على أن شهرتَ سيفَكَ فى مكانٍ لا يشهر فيه إلا عن إذن ؟ فقال : إنى أشرتُ به إلى[١] صاحبى مُغمداً ، فاندلق[٢] من غِمْدِهِ . فقال : إن مثل هذا لا يسوغ بالدعوى . وأمر به فضربت عنقه بسيفه ، وطِيفَ برأسه ونودِيَ عليه بذنبه .

الزهرة التاسعة والأربعون :

قيلَ للأحنفِ[٣] ممن تعلمتَ الحلم ؟ فقال : من قَيْسِ بن عاصم[٤] . كنت عنده ذات يوم جالساً ، فجِيءَ برجلٍ مكتوفٍ وآخر مقتول . فقيل : هذا ابنكَ ، قتله هذا . فقال : حُلُّوا كُتافَ هذا وسَرِّحوه ، ووَارُوا هذا واحملوا إلى أُمه دِيَته فإنها فيكم غريبة[٥] .

(١) فى الأصل : على ، وآثرنا هنا ما ورد فى النفح .

(٢) فى النفح : فزلق .

(٣) أبو بحر الأحنف بن قيس السعدى التميمى ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يجتمع به . ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى البصرة ، كان ممن اعتزل وقعة الجمل بعد فتنة عثمان ثم شهد صفين مع الإمام على ، وسكن البصرة وكان سيد بنى تميم بها وتوفى فى ولاية مصعب بن الزبير سنة ٦٧ . انظر ترجمته فى الإصابة لابن حجر ١/١٨٧ — ١٨٩

(٤) أبو على قيس بن عاصم المنقرى التميمى ، صحابى وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم فأسلم وسماه الرسول سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما ، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية ، روى عن النبى أحاديث ونزل البصرة ومات بها ورثاه عبدة بن الطبيب بقصيدة مشهورة . ترجم له ابن عبد البر فى الاستيعاب ، رقم ١٢٩٤ ؛ وابن الأثير فى أسد الغابة ٤/٢١٩ ؛ وابن حجر فى الإصابة ، رقم ٧١٩٩ — ٥/٤٨٣ — ٤٨٦ .

(٥) الخبر الوارد هنا يبدو منقولا عن الاستيعاب لابن عبد البر (الموضع المذكور فى الحاشية السابقة) وقد نقله ابن حجر أيضاً فى الإصابة ٥/٤٨٤

الزهرة الخمسون :

صنع كسرى طعاماً فى سِماطٍ له ، فلما فرغوا ورُفعتِ الآلاتُ وقعت عينُه على رجلٍ من الحاضرين قد أخذ جاماً له قيمة كبيرة ، فجعل الخدمُ يرفعون الآلات ، فلم يجدوا الجامَ ، فسمعهم كِسْرَى يتكلمون ، فقال : ما لكم ؟ فقالوا : فقدنا جاماً من الجامات . فقال : لا عليكم ، أخذه من لا يرده ، ورآه من لا يفضحه .

فلما كان بعد أيام دخل عليه الرجل وعليه حِليَة جميلة ، وحالة مستحسنة . فقال له كسرى : هذا من ذاكَ ؟ قال : نعم . ولم يقل له شيئاً .

الزهرة الحادية والخمسون :

أُحضر يوماً بين يدى الخليفة محمد بن عبد الرحمن مالٌ كثير أتاه من بعض [137] النواحى جلس لإيعائه فى بِدَرِه ، وقد أمر خدمه الصقالبة بتولّى ذلك ، ونضده بين يديه ، إلى أن يأمر برفعه إلى بيت المال ، فأخذوا فى ذلك على عيْنه ، واعترته خلاله سنةٌ غضَّ لها من طرفه ، خالها بعضهم نعاساً ، فمدَّ يده إلى بدرة من ذلك المال اختلسها على حين غفلةٍ من أصحابه ، فصيَّرها فى حِضنِه ، والأمير ينظر إليه .

فلما أكملوا نضد البدَرِ أمرهم بإعادة عدِّها ، فأصابوها تنقص تلك البدرة المختلَسة ، فترامَوا بسرقِها ، واشتد بينهم التنازع فيها . فلما أكثروا قال لهم الأمير : حسبكُم ، كُفُّوا عن ذكرها ، فقد أخذها من لا يردها ، ورآه من لا يفضحه . فإياه وإياكم من العَوْدِ لمثلها ، فإن كبير الذنب يهجم على استنفاد العفو . ارْفعوا المالَ ، وأقِلوا المقالَ .

فاشتَدَّ عَجَبُ مَنْ سَمِعَ بِهِ من سعةِ كرمِهِ وشدَّةِ حيائِه (١) .

الزهرة الثانية والخمسون :

قال أبو الحسن بنُ سعيدٍ العنسيُّ (٢) : كنت أترَدَّدُ إلى مجلس جمال الدِّين بن يغمورَ (٣) ، وهو نائبُ السلطنة بالشام ، وكان يقومُ لى كلما دخلتُ عليه . فدخلت يوماً ، فإذا به مضطجعٌ لم يَقُمْ ، وأخذ فيما كان يأخذ فيه . فلما دخلت عليه فى اليوم الثانى قام ثم جلس ، ثم قام ثم جلس ، وقال : هذه الأخيرة هى قومةُ أمس كانت عَلَيَّ دَيْنـاً ، منعنى عن القيام لك عُذْرٌ تتفضل بقبوله دون مُطالبةٍ بذِكره . فتعجبتُ من فضله وقلتُ : ما صار لهذا الرجلِ ما صارَ من باطل .

---

(١) القصة المنسوبة هنا إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن أوردها ابن حيان نقلا عن معاوية بن هشام الشبينى (المقتبس ، بتحقيقنا ص ٩٠ — ٩١) إلا أنه ينسبها إلى عبد الرحمن بن الحكم الأوسط . وقد وردت كذلك فى أخبار مجموعة ص ١٣٦ ؛ وابن سعيد : المغرب ١/٤٦ ؛ وابن عذارى : البيان المغرب ٢/٩٢

(٢) فى الأصل الحنسى ، وهو خطـأ صوابه ما أثبتنا ، والمقصود هو على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد اليحصبي (ولد سنة ٦١٠ وتوفى سنة ٦٨٥) ونسبه ينتهى إلى الصحـابى المعروف عمار بن ياسر من بنى عنس بن مذحج (ومن هنا كان انتسابه عنسيا) ، وهو المؤلف المشهور صاحب كتاب المغرب فى حلى المغرب وغيره من الكتب وترجمته وأخباره كثيرة فى كتب الأدب الأندلسى ، راجع تقديم أستاذنا الدكتور شوقي ضيف لكتـاب المغرب . وقد ترجم له المقرى فى النفح ترجمة طويلة موعبة (٢/٢٦٢ — ٢٩٠) .

(٣) جمال الدين موسى بن يغمور ، ولد سنة ٥٩٩ فى قرية من أعمـال قوص بصعيد مصر ، وتنقـل فى الولايات الجليلة فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد الأيوبى ، فولى نيابة السلطنة بمصر سنة ٦٣٨ ، ثم نيـابة دمشق سنة ٦٤٧ ، وكان الملك الظاهر أيضاً يستشيره ويأخذ برأيه . وتوفى سنة ٦٦٣ . وابن يغمور هذا هو الذى اتصل به ابن سعيد حينما نزل مصر ، وهو الذى أهدى إليه كتابه «رايات المبرزين وغايات المميزين» (انظر كتاب الرايات ص ٣١ — ٣٢) .

الزهرة الثالثة والخمسون :

جلس الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر يوماً فى قصر الزهْرَاء مع خواصِّ [138] وزرائِه المشورة مجلساً طويلاً غشيته الشمس فيه . فقال : الصوابُ أن يُتَحَوَّلَ إلى الظل ، وقام ناهضاً يريد مجلساً آخر . فابتدروا القيام خلفه حُفاةً قد أعرضوا عن خفافهم . فحانت منه التفاتة ، فنظر إلى احتفائهم وقال : ما بالكم احتفَيْتم ؟ فقالوا : بِداراً لأمرِك يامولانا ، وتناغياً فى لحاقك . فقال : إذا كان كذلك لا يصلحُ إلا مساواتكم . ثم نبذ الخفَّ من رجله وتحفَّى ماشياً . فأعظموا ما كان منه ، واسحنفروا فى شكره والثناء على فضله رحمه الله .

الزهرة الرابعة والخمسون :

قال خَلَفُ بن حيَّان والد الإمام البليغ أبى مروان [(١)] :

بَكَّتَنِى [(٢)] المنصور محمد بن أبى عامرٍ على بعض ما أبصَرَه منى تبكيتاً بَدَا له منى بسببه فزعٌ منه ، وهيبةٌ لسلطانه . فلما أخْلَى مجلسه قال لى : رأيتُ من فزعِك وشدة رَوْعِك ما استنكرته منك . ومن وثق بالله برىء من الحولِ والقوة لله . وإنما أنا آلة من آلاتِ اللهِ تعالى ، أتصرَّفُ بمشيئته ، وأسطو بقدرته ، وأعفو عن إذنه ، ولا أملك لنفسى إلا ما أملكه لى [(٣)] .

---

(١) راوى هذا الخبر هو المؤرخ الأندلسى المشهور أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبى (عاش بين ٣٧٧ و ٤٦٩) ، وقد فصلنا الحديث عن حياته ونشاطه الفكرى فى تقديمنا لقطعة من كتابه المقتبس . أما والده خلف بن حسين بن حيان (عاش بين سنتى ٣٤٠ و ٤٢٧) فقد كان كاتبا للمنصور بن أبى عامر ، وقد فصلنا الحديث عنه أيضاً فى تقديمنا لكتاب المقتبس (ص ٨ — ١٩)

(٢) ورد هذا الخبر بألفاظه تقريباً فى إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق صالح الأشتر ، دمشق ١٩٦١ — ص ١٩٨

(٣) كذا في الأصل ، والصواب ما ورد فى إعتاب الكتاب : إلا ما أملكه من نفسى لسواى .

فأزلْ عنك رَوْعك ، فإنما أنا ابنُ امرأةٍ من تميم طالما تقوّتت بثمنِ غَزْلِها ، ثم جاء من الله تعالى ما تراه . ثم قال : يا بن حيَّان . إن أفضلَ الناسِ غِراساً من غرس الخير . وإن أفضل السلطان غِراساً ما أثمر فى الآخرة ، ومن أنا عند الله تعالى لولا عَطفى على المستضعفِ المظلوم ، وقَصْمِى للجبَّارِ الغشوم اللاهى عن حقوقِ رَبِّه ، بفسوقه ودنَسِه .

الزهرة الخامسة والخمسون :

أمَر مُصْعَبُ بن الزبير برجلٍ من أصحاب المختار أن تُضْرَبَ عُنقه ، فقال : يا أيها الأمير ، ما أقْبَحَ بك أن أقومَ يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة [139] ووجهك هذا الذى يستضاء به ، فأتعلق بأطرافكَ وأقولَ : يارَبِّ ، سَلْ هذا فيم قتلنى ؟ فقال : أطلقوه ! قال : أيها الأمير ، اجعل ما وَهَبْتَ لى من الحياة فى خَفْضٍ من العيش . قال : أعطوه مائة ألفٍ (١) .

الزهرة السادسة والخمسون :

وقفَ رجلٌ من بنى أميَّة للرشيدِ على طريقه ، وبيده بطاقة فيها مكتوبٌ هذه الأبياتُ : [من الرمل]

يا أمينَ اللهِ إنِّى قائـــــلٌ قولَ صِدْقٍ ولُبّ وحَسَبْ (٢)
لكُمُ الفَضْــلُ علينا ولنــا بكمُ الفضلُ على كلِّ العَرَبْ

---

(١) ورد هذا الخبر وما فيه من حوار بين مصعب بن الزبير وهذا الرجل من أصحاب المختار بن أبى عبيد الثقفى فى عيون الأخبار لابن قتيبة بمزيد من التفصيل (١٠٣/١) .
(٢) كذا ورد الشطر الثانى ، وهو لا يتزن ، ولابد أن لفظا سقط منه .

عَبْدُ شمس كان يتلو هاشماً وهما بَعْــــدُ لأم ولأبْ
فَصلِ الأرحامَ منا إنمـــا عبد شمس عَمٌّ عبد المطلب

فاستحسنها الرشيدُ وأمر له لكل بيتٍ بألف دينارٍ وقال : لو زِدْتَنَا لزدناك .

الزهرة السابعة والخمسون :

تصدَّى (١) للخليفة النـاصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد يوماً فى بعض مخارجِهِ من القصر بالزهراء فى موكبٍ له رجلٌ معتوهٌ ، تكمَّن (٢) له فى بعض جنباتِ طريقهِ ، فثار فى وجهه ، وصاح عليه صياحاً منكراً ، وهرولَ نحوَه ، ومد يده إلى شكائم عنانه ، يريد القبض عليها . فنفر الفرس الذى كان تحته ، وأقعى على مؤخره ، فكاد يلقى عنه الخليفة لولا جَوْدَةُ استمساكه على سرجه ، فابتدر المعتوهَ أكابرُ [فتيانه] (٣) الصقـالبة الحافُّونَ به يحسبونه خارجيـاً قصده ، فخبطوه بأسيافهم ، ووخزوه بأسِنَّتهم ، فقتلوه ، والناصر مشتغِلٌ بِدَهشتِهِ . فلما عاينَ إسراعهم وعُرِّفَ بآفَته وحُمْقِهِ ساءهُ شديداً ، وأنْساهُ دهشه ، وسَبَّ (٤) الخصيان وأغلظ لهم وهم بهم ، [140] وأمر بالسؤال عن أولياء هذا المقتول ، فَوَداه لهم ، وتعهدهم بالإحسان حياته .

الزهرة الثامنة والخمسون :

قال ابراهيم بن الحسن بن سهل :

---

(١) أورد ابن حيان خبر هذا المعتوه ومحاولته اغتيال الناصر نقلا عن الحسن بن محمد بن مفرج القبشى فى كتابه عن الخلفاء (المقتبس ، مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط ص ٢٢ — ٢٣) ويكاد النص يكون نقلا حرفيا عن هذا الكتاب .
(٢) فى الأصل : تمكن ، والتصويب عن المقتبس لابن حيان (الموضع الذى أسلفنا الإشارة إليه)
(٣) زيادة عن المقتبس .
(٤) فى الأصل : وشب ، والصواب ما أثبتنا .

كنَّا فى مجلس المأمون ، وعَمرو بن مسعَدَةَ [١] يقرأُ عليه الرِّقاع ، فجاءته عَطْسَةٌ ، فَلَوى عُنقه فردَّها ، فرآه المأمون ، فقال : يا عمرو ، لا تفعل ، فإن رد العطسة وتحويل الوجه يورث انقطاعاً فى العنقِ . وكان بعض أولاد المهدىِّ حاضراً ، فقال : ما أحْسنها من مولى لعبيده ، وإمام لرعيَّتِه . فقال المأمون : وما فى ذلك ؟ هذا هشام بن عبد الملك اضطربت عمامته ، فأهوى الأبرش [٢] إلى إصلاحها . فقال هشامٌ : إنا لا نتخذ الإخوانَ خَوَلاً [٣] . فالذى فعل هشام أحسن من الذى فعلته . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، إن هشاماً يتكلَّفُ ما طُبعتَ عليه ، ويظلمُ فيما تعدِلُ فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قيامك بحق الله . وإنكَ والملوكَ لكما قال النابغة : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سَوْرَةً ... ترى كُلَّ مَلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ
لأنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ منهنَّ كوكَبُ

الزهرة التاسعة والخمسون :

ذُكر أن حفيدَ المعتمد بن عبَّاد حضر فى وليمةٍ بمدينة مراكش فى دولة المرابطين ، فلما دخل المجلسَ وَجده قد غصَّ بأهله ، فجلس فى أدنى المجلس ،

---

(١) عمرو بن مسعدة الكاتب أحد وزراء المأمون كاتب بليغ مشهور . توفى سنة ٢١٥ أو ٢١٧ . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، رقم ٥٠٧ — ٣ / ٤٧٥ — ٤٧٨

(٢) الأبرش هو سعيد بن الوليد الكلبى ، وهو من ولد عمرو بن جبلة الذى وفد على النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وكان حاجبا لهشام بن عبد الملك ومن جلسائه الملازمين له . انظر الإصابة لابن حجر ٦١٣/٤ ، وعيون الأخبار ٢٦٦/١ ، ١٠٠/٤ ، والأمالى لأبى على القالى ٣٧/٢ . وقد كان للابرش ذرية فى الأندلس منهم خلف بن سعيد الكلبى القرطبى المعروف بابن المرابط والمتوفى نحو سنة ٤٠٠ (الصلة لابن بشكوال رقم ٣٦١) .

(٣) ورد خبر قيام الأبرش لاصلاح عمامة هشام بن عبد الملك وعبارة هذا له فى عيون الأخبار ٢٦٦/١ .

فأشار إليه من عرف منزلته [١] ، فقعد وأنشد مرتجلاً [٢] : [من الكامل]

نحنُ الأهِلَّةُ فى ظلامِ الحِنْدِسِ حيثُ احتلَلْنَا ثم صَدْرُ المجلسِ
إنّ عاقنا صَرْفُ الزمانِ بجَوْرِهِ ظلماً فلم يذهبْ بعِزِّ الأنفسِ

الزهرة الستون :

[141] لما غزا الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمدٍ أوّلَ غزواته المؤذِنة بسَعْدِهِ إلى أهل الخلافِ عليه بكورَتَىْ إلبيرةَ وجَيَّان وما والاهما من حصونِ البُشَارَّاتِ [٣] وغيرها انتهت فتوحه إلى ما يجاوز ثلاثمائة حصنٍ ، كل حصن منها عالى الاسم بعيد الصِّيتِ ، مَلْجَأً لذوى الخلاف والمعصية . وكان فتحاً لم يُسْمَعْ بمثله لملكٍ من ملوك الأرض قضاه فى غزوةٍ واحدةٍ فى سالف الأزمنة [٤] .

---

(١) فى الأصل بعد هذه العبارة : «فقال لا» ، إلا أن الناسخ ضرب على الكلمتين خطا إشارة إلى حذفهما .

(٢) نسب ابن الأبار هذين البيتين لأبى الحسن على بن عمر بن محمد بن مشرف بن أضحى الهمدانى (عاش بين سنتى ٤٩٢ و ٥٤٠) . وروايته للشطر الأول من البيت الثانى « إن يبخل الزمن الخؤون بعزنا » ثم يعلق عليه قائلا : « لو قال « يذهب » مكان « يبخـــل » لكان أجود » (الحلة السيراء ٢١٦/٢) ، وورد البيتان بهذه الرواية كما صححها ابن الأبار فى المغرب لابن سعيد (١٠٨/٢) وفى رايات المبرزين (ص ٥٣ من طبعة غرسية غومس وص ٨٤ من طبعة الدكتور النعمان القـــاضى) . ويظهر أن حفيد المعتمد بن عبـاد المذكور قد تمثل بهذين البيتين ، فابن سعيد ينص فى الموضع المشار إليه من رايات المبرزين على أنه أثبتهما « لحسن منزعهما واشتهارهما شرقا وغربا » .

(٣) فى الأصل : البشارت ، والصواب ما أثبتنا ، والمقصود سلسلة الجبال التى تسمى اليوم Alpujarras وتكتب بالعربية أيضاً « البشرات » (انظر ابن الخطيب : الإحاطة ، بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، ١١١/١ ، ١٦٤) .

(٤) هذه الغزوة هى أولى غزوات عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله بعد توليه الامارة ، وقد بدأها فى ١٣ شعبان ٣٠٠ (٢٤ مارس ٩١٣) وانتهى منها يوم عيد الأضحى من هذه السنة (١٧ يولية ٩١٣) بعد أن استتم فيها اثنين وتسعين يوماً ، وتدعى بغزوة المتلون وقد فصل حديثها ابن حيان فى المقتبس (مخطوطة الخزانة الملكية فى الرباط ص ٣٥ — ٣٧) ولخص كلامه عنها ابن عذارى فى البيان المغرب (١٦٠/٢ — ١٦٣) والقطعة المجهولة المؤلف من تاريخ لعبد الرحمن الناصر ، مدريد ١٩٥٠ ص ٣٧ من النص و ١٠٠ من الترجمة . وفى كتاب ليفى بروفنسال : تاريخ اسبانيا الاسلامية (٧/٢ — ١١) دراسة طيبة عنها .

فلما انتهى إلى حصن شُبَالِشَ(١) من حصون البشارة أشرف عليه بعض السفهاء من رجال عمر بن حفصون(٢) بالذَّمِّ والاحتقار ، وجعل يقول : رُدُّوا فى فمه لبن أمه ! فجاوبه بعض من كان بقربه فى المصافِّ من زمَّالة(٣) الأثقال : « والله ما نرده إلا برأس ابن حفصون فى حُكمه !(٤) » .

فلما وَقَرَتْ بأذُنه قال : يرفع هذا القائل عن الامتهان ، ويلحق بملاحقِ الفرسان ، ويحمل ، ويوصَلُ بكذا من المال . فأوتى ذلك كله فى مقامه ، وصار سبباً لنباهته فى رجاله . وطيرها الناس غريبة فى اهتباله وسعة نوالِهِ .

واعتاصَ عليه حصنُ شُبالِشَ المذكور لبُعْدِهِ وتعذُّرِ نبلِهِ بحجارةِ المنجنيقِ القاذفة له ، وكان فيه جمهرةٌ من رجال عمر بن حفصونَ لهم بأسٌ وفيهم

(١) حصن شبالش أو شبيلش (كما يكتبه ابن عذارى) هو الذى يدعى اليوم Juviles وهو يقع على السفوح الجنوبية لجبال البشرات ، إلى الجنوب الشرقى لغرناطة .

(٢) عمر بن حفصون كبير ثوار الأندلس فى أواخر القرن الثالث الهجرى استمرت ثورته منذ سنة ٢٦٧ فى عهد الأمير محمد حتى وفاته فى أيام الناصر سنة ٣٠٥ . راجع عن حياته دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ١٠٤٩ — ١٠٥٠ (بقلم ليفى بروفنسال) وما ورد فى هذه المادة من مصادر .

(٣) زمالة الأثقال جمع زمال وهو سائق الزاملة ، وهى فى اللغة البعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه ، على أنهم توسعوا فى استخدام اللفظ ، فلم تعد دلالته قاصرة على الابل بل امتدت إلى ما يشبهها من دواب تستخدم لحمل الأثقال كالبغال وأمثالها ، وبهذا استعمل اللفظ فى الأندلس ، بل إنه قد انتقل إلى اللغة الاسبانية وبقى فى تراثها اللغوى حتى اليوم فى صورة Acémila (وبعنى البغل الذى يستخدم فى حمل الأثقال) ، ومنه اشتق لفظ Acemilero وهو يقابل الزمال أى سائق مثل هذا البغل .

(٤) أورد خبر هذه العبارة التى قالها هذا السفيه من رجال ابن حفصون وما رد به عليه ذلك الزمال ابن حيان فى المقتبس (مخطوطة الخزانة الملكية) ص ٣٧ ، ومن الواضح أن مؤلف الزهرات قد نقل الخبر كله من كتاب ابن حيان . والعبارة التى قالها السفيه المذكور تبدو مثلا شعبيا سائراً يقصد به أن الأمير عبد الرحمن إذ يحاول إخضاع ابن حفصون واسترجاع سلطته على معاقله إنما هو بمثابة من يرجو رد لبن الرضيع من فمه إلى ثدى أمه ، أى أنه طالب مستحيل . وكأن هذا المثل المصوغ هنا بعامية الأندلس مأخوذ من البيت العربى القديم المنسوب إلى عميرة بن جعل وهو يصور ندمه على هجائه لقومه :

ندمت على شتم العشيرة بعد ما   مضت واستتبت للرواة مذاهبه

فأصبحت لا أسطيع دفعاً لما مضى   كما لا يرد الدر فى الضرع حالبه

(انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٥٠) .

شِدَّةٌ تمنعوا جدا ، وألح الناصر عليهم فى قتالِهِمْ ، وبنى رِجْلاً عليهم نَصَبَ المنجنيقَ عليه ، فأصابهم بأحجارها ، وقطع الماء عنهم حتى قهرهم ، وافتتح الحصنَ عَنْوَةً ، وقتل كلَّ من كان فيه من أصحابِ عمر بن حفصون ، وافتتح بافتتاحه حصون البشارة كلها ، وانصرف على الساحل بِشَاط (١) إلى كورة رَيَّة ، ومنها إلى حضرته بقرطبة .

الزهرة الحادية والستون :

قام رجلٌ إلى الرشيدِ فى أولِ أيامه ويحيى بن خالد يُسايره ، فلما نزل قال له : [142] يا أبَتِ (٢) ، أَوْمَأْتَ إلىَّ بشىء . وقد أَمَرْتُ بالدراهم للفارسِ الذى عَطِبَتْ دابَّتُه ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مثلك لا يجرى هذا المقدارُ على لسانه ، إنما يذكر مثلك خمسة آلافِ ألف ، عَشْرَةَ آلافِ ألف . قال : فإذا سُئلتُ مثل هذا كيف أقول ؟ قال : تقول : تُشْتَرى له دابة ، يفعل به ما يفعل بنظرائه ، يُحْمَلُ فى هذا مَحْمِلَ أقرانه (٣) .

الزهرة الثانية والستون :

ذُكِرَ أن المتوكلَ ابن الأفطس (٤) أميرَ بُرتقالَ (٥) فَرَّ إليه شخصٌ من

---

(١) شاط (ويدعى الآن Jete) حصن يقع فى منطقة مالقة قريباً من المنكب Almuñecar على الساحل الجنوبي المطل على البحر المتوسط .

(٢) ذكر ابن خلكان فى ترجمة يحيى بن خالد البرمكى أن الرشيد لتعظيمه إياه كان إذا ذكره قال أبى (وفيات الأعيان ٦ / ٢٢١) .

(٣) ورد هذا الخبر على نحو أكثر تفصيلا فى وفيات الأعيان ٦ / ٢٢٧

(٤) هو عمر بن محمد المظفر بن عبد الله المنصور بن محمد بن مسلمة بن الأفطس ، من ملوك الطوائف ، كان أميراً على غرب الأندلس ، ولى سنة ٤٦٠ ومات قتيلا فى سنة ٤٨٧ على يد القائد المرابطى سير بن أبى بكر حينما خلع يوسف بن تاشفين ملوك الطوائف بالأندلس ، وهو مرثى ابن =

أُمراء بنى هودٍ[١] مُغاضِباً لابن عمه ملكِ سرقسطة ، فآواهُ وأحسن إليه ، ثم اختبره ، فرآه أهلا للولاية ، فولاَّه ، فقال له أحدُ وزرائه : كثير هذا يا مولاىَ فى تغييرِ قَلْبِ قريبه . كيفَ تُسْخِطُ قادراً فى حق عاجزٍ ؟ وتفرِّطُ فيمن نحتاج إليه كما يحتاج إلينا ؟ وتغتبط بمن لا نحتاج إليه بل هو كَلٌّ علينا ؟ فقال له المتوكل بن الأفطس : الذى قلتَ حقٌّ ، ولكن كيف يكون اقتناء المكارم ؟ .

الزهرة الثالثة والستون :

ذكر أن الخليفة عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية وهب لجارية من حظاياه المشتهراتِ بأثرته عِقْدَ جوْهر من أعلاقِ[٢] الخلافة شراؤهُ عليه عشرة آلاف دينارٍ ، كان يسمى الثعبان[٣] ، وكان من ذخائر الرشيد من خلفاء بنى العباس بالمشرق ، لما وقـــع بين ابنيْه الأمينِ

= عبدون بالرائية المشهورة التى تدعى « البسامة » . انظر ترجمته فى قلائد العقيان لابن خاقان ص ٣٦ — ٤٧ ؛ المغرب لابن سعيد ١ / ٣٦٤ — ٣٦٥ ، أعمال الأعلام لابن الخطيب ص ٢١٤ ؛ الحلة السيراء ٢ / ٩٦ — ١٠٧ ؛ المقرى : نفح الطيب ١/٦٦٣ — ٦٦٦ .

(٥) برتقال هو الاسم العربى لدولة « البرتغال » الحـالية ، ولم يكن هذا الاسم شائعاً فى القرن الخامس الهجرى حينما كان يحكم هذه الرقعة من غرب الأندلس بنو الأفطس ، وإنمـا استخدم مؤلف الزهرات هذا اللفظ على سبيـــل التغليب إذ كانت « برتقال » فى أيامه تقابل مملكة بطليوس فى غرب الأندلس التى كان المتوكل الأفطسى أميراً لها . وقد كان اسم برتقـال فى القديم يطلق على مدينة بورتو Porto ثانية مدن البرتغال اليوم . عن هذا اللفظ راجع ما كتبناه فى حواشى المقتبس بتحقيقنا ، الحاشية رقم ٥٨٤ ص ٦٣٤ — ٦٣٥ .

(١) يظهر أن هذا الأمير هو ذو الوزارتين أبو محمد (ولم يقف ابن الأبار الذى أورد ترجمته على اسمه الكامل) وقد أثنى عليه مؤلف الحلة فقال إنه أحد النجباء الأدباء من أهل بيت ملوك سرقسطة ، نبت به داره واختص بالمتوكل عمر بن محمد بن الأفطسى فولاه مدينة الأشبونة (لشبونة Lisboa عاصمة البرتغال الحالية) من أعماله ثم صرف عنها وصدر محمود السيرة . وله شعر يخاطب به قومه فى خروجه من سرقسطة (انظر الحلة السيراء ٢ / ١٦٥ — ١٦٦) .

(٢) فى الأصل : علاق .

(٣) هذا العقد هو الذى يسميه ابن عذارى (البيان ٢/٩١) «عقد الشفاء» .

والمأمونِ التنازع ، واستولى المأمونُ على الملكِ انتهب من خِزانتهم ، ولاذَ العاثرون عليه بالإبعادِ به إلى قاصيةِ أرض جزيرة الأندلس حيث أَمِنوا عليه ، فبيع بها من الخليفة عبد الرحمن بن الحكم .

وإنَّ [143] (١) بعض من يختصُّه من وزرائه عظم ذلك عليه وقال إن هذا من الأعلاقِ المضنون بها المدَّخرة للنائبة . فقال الأمير : ويحك إن لابسَه أنفس منه قدراً ، وأعظم خطراً ، وأكرم جوهراً . ولئن راقَ من هذه الحصباء منظرها ، ولَطُفَ فى العيون فرندها — لقد برأَ الله من خلقه البشر جوهراً يُغْشِى الأبصار ، ويضل الألباب ، وهل على الأرض من شريف جوهرها وسنيِّ زخرفها ومستلذ نعيمها وفاتن بهجتها أقرُّ لعين وأجمع لزين من وجهٍ أكملَ الله حسنه ، وألقى عليه الجمال مسحته ؟ .

ثم دعا بعبد الله بن الشِّمْرِ (٢) جليسه ، فذكر له ما دار بينه وبين وزيره فى شأن العقد ، وقال له : هل يحضرك فى تأييد ما قلناه شىء ؟ قال : نعم ، وأطرق برهة ثم أنشد : [من الطويل]

أتقرنُ حَصْبَاءَ اليواقيتِ والشَّذْرِ ... إلى من تعالى عن سنا الشمس والبدر
إلى مَن براهُ اللهُ للخلقِ فِتنة (٣) ... ولم يَكُ شيئاً غيره أحَدٌ يَبْرِى
فأكرِمْ به من صَنْعَةِ (٤) اللهِ جَوْهَراً ... تضاءلَ عنه جوهرُ البرِّ والبحرِ
له خَلَقَ الرحمنُ ما فى سَمائِهِ ... وما فوقَ أرْضيه ومَكَّنَ فى الأمرِ

---

(١) ورد هذا الخبر وما يتصل به من شعر فى أخبار مجموعة ص ١٣٦ — ١٣٨ ؛ والحلة السيراء ١/١١٥ — ١١٨ ؛ وابن عذارى : البيان ٢/٩١ — ٩٢ ؛ وهناك إشارة مقتضبة إلى فحواه فى نفح الطيب للمقرى ١/٣٤٩ .

(٢) استقصينا مصادر ترجمة ابن الشمر فى حواشى المقتبس لابن حيان ، بتحقيقنا ، حاشية رقم ١٧١ ص ٤٧٧ — ٤٧٨ ؛

(٣) رواية أخبار مجموعة والحلة السيراء والبيان المغرب لهذا الشطر : « إلى من (أو بمن قد) برت قدما يد الله خلقه » .

(٤) فى الحلة : صبغة ، وفى البيان المغرب كما هو هنا .

قال : فأعْجِبَ الأمير عبد الرحمنِ ببديهته ، وتحرَّكَ طَبْعُه للقولِ فيه ، فأنشأ يقول مُعارضاً له على رَوِيِّهِ :

قريضُكَ يا بنَ الشِّمْرِ عَفَّى على الشعرِ ... وجَلَّ عنِ الأوهام (١) والذِّكْرِ والفكرِ
إذا شافَهَتْهُ الأذنُ أَدَّى بِسَمْعِهِ (٢) ... إلى القلبِ إبْدَاعاً يَجِلُّ عنِ السِّحْرِ
وهل بَرَأَ الرحمنُ فى كُلِّ ما بَرَا ... أَقَرَّ لعينٍ (٣) من مُنَعَّمَةٍ بِكْرِ
تَرَى الوَرْدَ فوقَ الياسمين بِخَدِّها ... كما فُوِّفَ الوردُ المُنَوِّرُ بالزَّهْرِ
فلو أنَّنِي مُلِّكْتُ قَلْبِي وناظِري ... نَظَمْتُهُمَا (٤) منها على الجيدِ والنَّحْرِ

فقال له ابن الشِّمْرِ : يا بنَ الخلائفِ ، شعرُكَ والله أَجْوَدُ من شعرى ، وثناؤكَ [144] عليه أفضلُ من صِلَتِي . وما مِنْحَتُكَ لى إلا تَطَوُّلاً منكَ بغيرِ استحقاقٍ . فأَضْعَفَ جائزته وأكثر الثناء عليه .

الزهرة الرابعة والستون (٥) :

لما قُبِضَ على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيدٍ العَنْسِيِّ (٦) وثُقِّفَ بمالقة دخل إليه ابن عَمِّهِ ، ووصل إلى الاجتماع به ريثما اسْتُؤْذِنَ السيِّدُ

---

(١) هكذا النص أيضاً فى الأخبار المجموعة . وفى الحلة : وأشرق بالايضاح .
(٢) فى الأصل تنقص كلمة « أدى » ، وفى أخبار مجموعة : أدى بسحره ؛ وفى الحلة : إذا جال فى سمع يؤدى بسحره .
(٣) فى الأصل : لعبد ، والتصويب عن أخبار مجموعة والحلة .
(٤) فى الأصل : لنظمتها ، والتصويب عن أخبار مجموعة والحلة .
(٥) أورد المقرى فى نفح الطيب (٤/٢٠٤ — ٢٠٥) نص هذه الزهرة بغير أن يبين رقمها أو موضعها من الكتاب ، وجاء الخبر كذلك فى الاحاطة لابن الخطيب ١ / ٢١٨ — ٢١٩ مرويا عن أبى الحسن على بن سعيد عن الحسين بن دويرة (كذا) ويذكر راوى الخبر فى نهايته أنه لم يره بعد ذلك إلا مصلوبا .
(٦) أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد (وقد ساق ابن سعيد فى المغرب نسبه كاملا إلى عمار بن ياسر) هو عم والد على بن موسى بن سعيد الجامع الأخير لكتاب المغرب . وقد ذكر المؤلف أن أبا جعفر المذكور نفسه كان من بين مؤلفى هذا الكتاب الذى توارث بنو سعيد تأليفه . وهو من =

أبو سعيد بن الخليفة عبد المؤمن بن عَلِيّ (١) فى أمره . قال : فَدَمَعَتْ عيناىَ حين رأيتُه مكبولاً . فقال لى : أَعَلَيَّ يُبْكَى بعد ما بلغتُ من الدنيا أطايبَ لذاتها : فأكلتُ صدورَ الدَّجاج ، وشربتُ فى الزُّجاج ، ولبست الدِّيباج ، وتمتعت بالسَّرَارِىّ والأزواج ، واستعملت من الشمع السِّرَاجَ الوهَّاج ، وركبت كل هملاَج (٢) وها أنا فى يَدِ الحجَّاج (٣) ، منتظر مِحْنَةَ الحلاَّج (٤) ، قادمٌ على غافر لا يحتاج إلى اعتذار واحتجاج ؟ !

= ذلك البيت المشهور أصحاب القلعة التى تنسب إليهم: قلعة بنى سعيد أو «قلعة يحصب» (التى تسمى اليوم Alcalá la Real) . بايع أبوه عبد الملك الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على ، فغمره ببره . وحينما ولى غرناطة السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن استكتب أبا جعفر ، غير أن العلاقة ساءت بينهما بسبب تنافسهما على حب حفصة الركونية الشاعرة . فظل أبو سعيد يتربص به حتى فر أخوه عبد الرحمن إلى محمد ابن مردنيش صاحب شرق الأندلس وعدو الموحدين ، فاغتنمها أبو سعيد فرصة وأوقع بأبى جعفر ، فقتله صبراً بمالقة . وذلك فى سنة ٥٥٩ . انظر فى ترجمة أبى جعفر ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٤ — ١٦٨ ؛ رايات المبرزين ص ٦٤ من طبعة غرسية غومس (= ٩٢ ط. د. النعمان القاضى) ؛ اختصار القدح المعلى ص ١٦٢ ؛ الاحاطة ١ / ٢١٤ — ٢٢٠ ؛ المقرى : نفح الطيب ٤ / ١٧٩ — ٢٠٥

(١) أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن على ، أوفده أبوه مؤسس الدولة المؤمنية (الموحدين) إلى الأندلس لأول مرة سنة ٥٤٦ ، وحينما وزع عبد المؤمن ولايات الدولة على أبنائه عهد إليه بحكم عدوتى مضيق جبل طارق (سبتة وطنجة والجزيرة الخضراء ومالقة) ، ثم نقله إلى غرناطة سنة ٥٥٢ وفى ٥٥٧ وفد فى مهمة إلى مراكش ، فانتهز ابن همشك فرصة تغيبه عن غرناطة واستولى عليها، فعاد أبو سعيد إلى عمله بسرعة والتقى بابن همشك ولكنه هزم فى «مرج الرقاد» فى فحص غرناطة ، واضطر إلى الهرب إلى مالقة ، على أنه انتصر بعد ذلك على ابن همشك فى وقعة « السبيكة » . وفى ٥٥٨ كلفه أبوه هو وأخاه يوسف بنقل عاصمة الأندلس من إشبيلية إلى قرطبة وعهد إليه بحكم قرطبة وكان أخوه يوسف قد ولى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد المؤمن ، فتلكأ فى الاعتراف بأخيه حتى سنة ٥٦٠ وظل بعد ذلك فى الأندلس مشاركاً فى أحداثها الكبرى حتى توفى فى الطاعون الذى اجتاح مراكش فى سنة ٥٧١ . انظر فى ترجمته وأخباره : أويثى تاريخ الدولة الموحدية :

A. Huici Miranda: *Historia política del Imperio Almohade*, pp. 618-619.

والمصادر المذكورة فى هذا المرجع .

(٢) الهملاج هو البرذون (البغل) الحسن السير فى سرعة وتبختر .

(٣) يشبه الأمير المنكل به بالحجاج بن يوسف الثقفى فى قسوته وصرامته .

(٤) يشبه نفسه فى محنته بالحلاج الحسين بن منصور الصوفى المعروف الذى شهد عليه بالزندقة والمروق من الدين فى أيام الخليفة المقتدر فأعدم ومثل بجسده سنة ٣٠٩ .

قال : فقلت : ألا يُؤسَفُ على مَن ينطقُ بمثل هذا الكلام ثم يُفقَدُ ؟ وقمتُ عنه ، فكان آخر العهد به .

الزهرة الخامسة والستون :

خرج الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم من قرطبة إلى الرُّصافةِ متنزهاً ومعه وزيره الأثيرُ لديه هاشم بن عبد العزيز (١) . فقال له : يا مولاى . ما أحسنَ هذه الدنيا لولا . . . فقال : لولا ماذا ؟ قال : لولا الموتُ . فقال له : ولو بَقِيَ فيها مَن كان قبلَنا مِن أين كانت تصل إلينا (٢) .

الزهرة السادسة والستون :

كان أبو اليُسْرِ الشيْبانيُّ المعروف بالرياضِيِّ (٣) الأديب الشاعر قد اضطربَ بالمشرقِ وقصدَ الملوكَ ، فأعيَتْ عليه مضاربُ الرزق [145] ، فأوضع إلى

---

(١) هاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد (ت ٢٧٠) انظر ترجمته وأخباره فى القطعة التى نشرناها من « المقتبس » لابن حيان (بيروت ١٩٧٣) ، ص ١٥٩ — ١٧١ ، والحاشية رقم ٣٣٠ ص ٥٣٣ — ٥٣٤ .

(٢) هناك خبر ينسب فيه الحوار إلى أبى جعفر المنصور والربيع بن يونس يكاد يتفق مع هذا الخبر فى ألفاظه . وقد ورد فى ابن خلكان (وفيات ٢/٢٩٥) وفى هذا الخبر نجد المنصور هو صاحب عبارة « ما أطيب الدنيا لولا الموت » ، والربيع بن يونس هو صاحب الرد الذى جرى مثله على لسان الأمير محمد نفسه . على أن الخبر ورد فى بعض المصادر الأندلسية كما هو هنا مع نسبة هذا الحوار إلى الأمير محمد وهاشم بن عبد العزيز (راجع ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١١١ ، وأعمال الأعلام لابن الخطيب ص ٢٣) .

(٣) أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيبانى الرياضى (عاش بين سنتى ٢٢٣ و ٢٩٨) أديب مغامر جوال ، ولد ونشأ فى بغداد ودرس بها على الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثعلب ورحل إلى الأندلس مصطنعا أنه رسول من ابن الشيخ وأهل الشام على ما يذكر المؤلف فى هذا الخبر ثم رحل عن الأندلس إلى افريقية ثم مصر فوقع عليه صاحبها (كان ذلك فى أيام أحمد بن طولون) فحبس ، وبعد تخلصه من حبسه عاد إلى افريقية فولى عملا من أعمال الكتابة فى ديوان الرسائل لابن الأغلب ، وكان على صلة بدعاة العبيديين ، فلما انتصرت دعوة عبيد الله المهدى أول خلفائهم انضم إليه وأصبح كاتبه وصاحب =

الأندلس بكُتُبٍ زوَّرها على لسان عيسى بن الشيخ (١) المتنزى على الخليفة العباسى بآمِدَ (٢) أيام التاثَتْ طاعته عليه ، وعلى ألْسنةِ جماعةٍ من وجوه أهل البلد إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن باستدعائه له إليهم ، واعترافهم بحقوقه وحقوق بنى أميَّة ، وذكرهم اقتراب أمَدِ رجعة دولتهم إليهم بالشام .

فلما وَرد على الأمير محمد وكلمه بسطَ عنده جميل ما تضمَّنْته كُتبه تَفرَّسَ الأمير محمد فيه أنه محتالٌ شحَّاذٌ مُتعيِّشٌ ، ورأى له رُواءً وشارةً ولساناً وسلاطة أحبَّ سَدلَ السَّتر عليه والأخذ بالجميل فيه . ووصلَتْ إليه بطائقُ برسائل محبرةٍ وأشعار (٣) محكمة أعجبته ، فكرم مثواه ، وأوسع قراه ، وأمضى له ذلك طول مكثه لديه ، مع احتباسه واتهامه إياه ، إلى أن ألح عليه يسأله إطلاقه لسبيله وقلبَه بأجوبةِ كُتبه .

فخلا الأمير محمد عند ذلك بوزيره الأخصِّ به هاشم بن عبد العزيز ، وذكر له خبره . فقال له : ويحك يا هاشم ، إنه قد أُلقى فى روعِى أن هذا

= ديوان رسائله فى سنة ٢٩٦ وظل فى هذا المنصب حتى وفاته فى سنة ٢٩٨ . انظر فى ترجمته وأخباره ابن الأبار : التكملة (ط. القاهرة ١٩٥٦) المجلد الأول ، رقم ٤٥٤ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٥٢—١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٢ — ١٦٣ ؛ أخبار مجموعة ص ١٤٦ — ١٤٧ ، المقرى : نفح الطيب ٣/١٣٤—١٣٥ ، وبحثنا عن « التشيع فى الأندلس » صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد (سنة ١٩٥٤) ص ١١٢ — ١١٣ . هذا وقد اختصصنا شخصية أبى اليسر الرياضى المذكور ببحث مفصل لسيرة حياته وآثاره ، وهو تحت الطبع .

(١) عيسى بن الشيخ بن الشليل الشيبانى من كبار قواد الدولة العباسية كان يعمل تحت إمرة قائد الجيش بغا الشرابى فى أيام المتوكل وهو الذى انتدب لاخماد ثورة محمد بن البعيث فى مرند (أذربيجان) فى سنة ٢٣٤ ، وفى سنة ٢٥١ عهد إليه بمحاربة الموفق الخارجى فهزمه وأسره ، وفى السنة التالية عقد له على الرملة بفلسطين ، ولكن ضعف الخلافة أغراه بالاستقلال بعمله فاستولى على فلسطين كلها ثم تغلب على دمشق وأعمالها واستبد بالأموال ورفض إقامة الدعوة للخليفة المعتمد حينما ولى الخلافة سنة ٢٥٦ ، ثم تقلد أعمال أرمينية وديار بكر وظل يتقلب بين الطاعة والعصيان حتى وفاته سنة ٢٦٩ . انظر فى أحداث حياته ابن الأثير : الكامل ٧/٤٢ ، ١٦٣ ، ١٧٦، ٢٣٨ ، ٣٣٤ ، ٣٦٧ ، ٣٩٧

(٢) آمد من كور الجزيرة من أعمال الموصل ، وهى من أكبر مدن ديار بكر (ابن عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ص ٣ — ٥) .

(٣) فى الأصل : وشعار .

الرسولَ إنسان محتال طالب معيشة وباغي خديعةٍ ولَّد لابتغائها هذه الحيلة التى لا أصل لها . فإن صرنا إلى تصديقه وإنفاذ أجوبتنا عن كتبه على حسب مضمونها اتخذنا عند أضدادنا (١) بنى العباس مَضحكَة وهُزأةً ، وإن كذبناه وحرمناه وقد تجشَّم النَّصَبَ إلينا وخيَّم بنا وقصدنا مُؤمِّلاً ، واحتلَّ كنفنا واثقاً ، فلؤمٌ منا مشهور ، وفعل غير مشكور . وقد بلوْنا فيما يخاطبنا عن نفسه ويستلطفنا به بخديعته بياناً ناصعاً وتنميقاً رائقاً نظماً ونثراً ، لو كان قصدنا بهما عن نفسه على نأيِ داره وشَحْط مزاره لاستحق معروفنا واستأهَل إكرامَنا . فعرفه بذلك عنا ، وهذه ألفُ دينار [146] فادفعها إليه صلة وأعطِه جوابنا هذا الذى انفردنا بمضمونه ، فأَوْم إلى تخصيصنا به وسَرِّحْهُ لسبيله . ودفع إليه كتاباً مختوماً أسلمه إلى أبى اليسْرِ .

وكله عن الأمير بما حَمَّله إياه وسَرَّحه (٢) . فمضى أبو اليسر يحسب أن قد اختدع الأمير محمداً واستغفله (٣) .

فَخَبَّر الفقيه محمد بن وليد (٤) أنه اتفق له أن خرج مع أبى اليسر المذكور من قرطبة فى نفر من أهلها يريدون الحج وطلب العلم ، وصحبوه فى طريقه إلى القيروان . فلما حصل فى العدوَة أقبل يخبرهم خبره مع الأمير محمدٍ ، ويعرِّفهم وجه حيلته عليه فى قصده إياه ويتبجَّح بما تهيَّأ له بكَيْسِهِ ونباهته ، وما حصل له من ماله بخديعته له . وما هو إلا أن فضَّ ختامَ الكتاب الذى تحمَّله من عند الأمير محمدٍ بين أيدينا ليُرِيَنَا غباوة أميرنا ، فإذا الكتاب صحيفة

(١) فى الأصل : أضدادها .
(٢) فى الأصل : وشرحه .
(٣) فى الأصل : واستغفلقه .
(٤) الفقيه محمد بن وليد القرطبى كان تلميذاً للعتبى صاحب المستخرجة ورحل إلى المشرق فأخذ بمصر عن يونس بن عبد الأعلى والمزنى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ولما عاد إلى قرطبة قدمه قاضى الجماعة للشورى وكانت للامير عبد الله بن محمد به عناية خاصة ، وتوفى سنة ٣٠٩ (ابن الفرضى ، تاريخ رقم ١١٨٠ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٦٤) .

بيضاء ليس فيها غير الافتتاح « بسم الله الرحمن الرحيم » . فوَجمَ واختزى ، وقال : ليس يقاس على فهم الملوك ، وغوْصِ نظرهم ، وذكاءِ حِسِّهم ! ورجع يتعجب من فهم الأمير محمد وذكاء فطنته وبُعد غوْره وكمون فكرته ، ويقول : هكذا تُعرفُ بنو أمية ، لم يكونوا لِيَلؤموا ولا ليُخدعوا ! (١) .

الزهرة السابعة والستون :

جاء رجل إلى نبى الله سليمان عليه السلام ، فقال له ، يا نبى الله إنه كانت لى إوَزٌّ فسرقت . فنادى فى الناس : الصلاة جامعة ! ثم خطبهم فقال فى خطبته : أيها الناس ، ما بال أحدكم يسرق إوَزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ؟ ! فمَسَح رجل على رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم (٢) .

الزهرة الثامنة والستون :

كان (٣) المنصور بن أبى عامر قد اشترى من تاجرٍ جَوْهَرِىّ قصده من بلاد المشرق من عَدَنٍ بصرَّة فيها دُرٌّ كثير وأحجار نفيسة ، فاشترى منها ما استحسنه ودفع إلى الجوهرىِّ بقية متاعه فى صُرَّته . فانطلق عنه وأخَذ على

---

(١) ورد هذا الخبر مع بعض الاختلاف فى التفاصيل فى كتاب أخبار مجموعة ص ١٤٦ — ١٤٧

(٢) وردت هذه القصة فى عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٠٦/١ وفى محاضرات الأدباء للراغب الاصفهانى (المطبعة الشرفية ، القاهرة ١٣٢٦) ٨٤/٢ ؛ وفى أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزى (دمشق ١٣٤٧) ص ١٥ ؛ وفى الأذكياء لابن الجوزى أيضاً ص ١٦ . والقصة شائعة فى الأدب الشعبى المصرى ، ومنها أخذت العبارة المشهورة التى تجرى مجرى المثل « الحرامى على راسه ريشة » .

(٣) وردت هذه القصة مختصرة فى البيان المغرب لابن عذارى ٢٩١/٢ — ٢٩٢ ؛ ووردت أيضاً فى نفح الطيب للمقرى مرتين : المرة الأولى نقلا عن المغرب لابن سعيد مختصرة ومع قدر غير قليل من الاختلاف فى التفاصيل (٤٠١/١ — ٤٠٢) ، والمرة الثانية بلفظ أبى مروان ابن حيان القرطبى (٤١٢/١ — ٤١٣) ، وهى هنا تكاد تطابق نص ما ورد فى هذه الزهرة . ومن الواضح أن النص هنا — وإن لم يشر المؤلف إلى ذلك — منقول عن ابن حيان ، ففيه كل خصائص أسلوبه .

طريق الرَّملة (١) إلى الشَّطِّ بقرطبة . فلما توسطها واليوم قائظ وعَرَقه مُنصب دعته نفسه إلى التبردِ فى النهر ، فنضا ثيابه وجمعها على الشط ، ووضع تلك الصُّرَّةَ عليها ، وأقبل على شأنه . فمرَّت حِدَأة ، فاختطفت صرته تلك تحسبها لحماً ، وصاعدت بها فى الأفق ذاهبة ، فقطعت الأفق الذى أدركته عيْنه . فقامت عليه القيامة وعَلِم أن البليّة لا تُسْتدفع بدعوى ولاحيلة ، فأسر ما فى نفسه ، ولحقته من أجلها عِلّة اضطرب فيها .

وحضر الدفع إلى التجار ، فجلس المنصور بن أبى عامر لذلك بنفسه ، فاستبان ما بالرجــل (٢) من المهانة وفقد ما عَهِده عليه من شدة العارضة ، وسأله عن شأنه ، فأعاد عليه القصة . فقال : هلاَّ أتيْتَ إلينا والأمر حدَثانَ وُقوعه ؟ فكنَّا نستظهر على الحيلة ! فهل هُدِيتَ إلى الناحية التى أخذ الطائر نحوها ؟ قــال : مَرَّ مُشَرِّقاً على سَمْتِ هذه الجنان التى تلى قصرك — يعنى الرَّملة — . فدعا أحد الخدام ممن كان واقفــاً بين يديه . فقال : جِئْنى بمَشْيَخة (٣) أهل الرملَةِ الساعةَ . فمضى وجاء بهم مسرعاً ، فأمرهم بالبحث عمن غيَّر حالَ الإقلالِ منهم سريعاً وانتقل عن الإضاقة بلا تدريج من عُرضهم ، فتناظروا فى ذلك ثم قالوا : يا مولانا ، ما نعلمه إلا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وولده بأيديهم ويتناوبون الشيء [148] بأنفسهم عجزاً عن شراء دابة ، فاكتسى هو وبنوه كِسوَة متوسطة . قال : وأىُّ جنة بيده ؟ قالوا : المعروفة بالنخلة . قال : هذه واحدة . وأمر بإحضاره فى فجر غده ، وأمر التــاجر بالغدوّ إلى الباب .

---

(١) اسم الرمــلة كان يطلق على الطريق المرصوف الممتد بحذاء الشط الشمالى للوادى الكبير بقرطبة ، فيما يلى ما كان يعرف باسم « الجانب الشرقى » وتطل على هذا الطريق المنطقة الفخمة التى كان المنصور بن أبى عامر قد بنى فيه مدينة الزاهرة التى اتخذها مقراً لحكمه . انظر ليفى بروفنسال : تاريخ الأندلس ٣/٣٦٧ ، ٣٧٠ وانظر الخريطة التوضيحية فى هذا الكتاب ص ٣٦١ .

(٢) فى الأصل : بالرجال .

(٣) فى الأصل : بشيخه .

وأحضر ذلك الرجل بعيْنه وهو طيب النفس ، فاستدْناه المنصور والتاجر حاضر وقال له : سبب ضاع لنا وسقط إليك . ما صنعتَ فيه ؟ قال : هو هذا يا مولانا ! وضرب بيده إلى حُجْزَةِ سراويله ، فأخرج الصُرَّة بعيْنها ، ووضعها بين يديه ، فكاد التاجر يطير فرحاً . فقال : صِفْ لى حديثها ، قال :

بَيْنا أنا أعمل تحت نخلة فى جنانى إذ سقطت عن حِدَأَةٍ أمامى ، فلقطتها ، وراقنى منظر أحجارها ، فحدسْتُ أن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار ، فاحترست بها ودعتنى الحاجة إلى أخذ عشرة مثاقيل عُيوناً كانت مصرورةً معها ، وقلت : أقلُّ ما فى كَرَم المنصور أن يسمح لى بها مع حراسة ما كان معها .

فأعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر : دُونَك صُرَّتكَ ، فانظرها واصْدُقْنِى عن عدد ما تَضَمَّنَتْهُ . ففعل ، فزاد استبشاره وقال : وحَقِّ رأسِكَ يا مولانا ، ما ضاع منها شىء سوى الدنانير التى ذكرها ، وأنا قد وهبتها له . قال : نحن أولى بذلك منك ولا ننقصك فرحتك . ولولا جمعه بين الإصرار والإقرار لكان ثوابه موفوراً عليه .

ثم أمر بإحضار عشرين ديناراً وقال : ادفع إلى التاجر شطرها عِوَضاً من دنانيره وإلى الجنَّانِ الشطر الآخر ثواباً لتأنِّيه عن إفساد ما وقع بيده . ولو بدأنا بالاعتراف لأوْسعنا عطاءه .

فقام التاجر مُسْتَحْنِفراً فى الثناء على المنصور بن أبى عامر قد عاوده نشاطه ، فقال : واللهِ لأبيِّننَّ فى الأقطارِ عِظَمَ مُلكك ولأبثن فيها أنك تملكُ [149] طَيْرَ بلادك كما تملك إنسها ، فلا تعتصم منك ولا تؤذى جارك . فاستضحك المنصور بن أبى عامر ، وقال : اقصد فى قولك يغفر الله لك ! وعجبَ الناس من لطف ابن أبي عامر فى أمره ، وحيلته فى تفريج كرْبِهِ .

الزهرة التاسعة والستون :

قَدِمَ (١) بعض التجار من خراسان ليحُجَّ ، فتأهب للحج ، وبقى معه من ماله ألفُ دينارٍ لا يحتاج إليها ، فقال : إن حملتها خاطرت بها ، وإن أودعتها خفتُ جَحْدَ المودع ، فمضى إلى الصحراء ، فرأى شجرة خِرْوَع ، فحفر تحتها ودفنها . ولم يره أحد . ثم مضى إلى الحج ، وعاد ، فحفر المكان ، فلم يجد شيئاً ، فجعل يبكى ويلطِمُ ، فإذا سئل عن حاله قال : الأرض سرقت مالى ! فلما كثر ذلك عليه قيل له : لو قَصَدْتَ عَضُدَ الدولة (٢) ، فإن له فطنةً . قال : أو يعلم الغيب ؟ قيل له : لا بأس بقصده .

فقصده فأخبر بقصده ، فجمع الأطباء وقال لهم : هل داويتم فى هذه السنة أحداً بعروق الخِرْوَع ؟ فقال أحدهم : أنا داويتُ فلاناً وهو من خواصِّكَ . فقال : علىَّ به . فجاء ، فقال له : هل تداوَيْتَ فى هذه السنة بعروق الخروَع ؟ قال : نعم . قال : من جاءك به ؟ قال : فلان . قال : علَىَّ به . فلما جاء قال له : من أين أخذتَ عروق الخروَع ؟ قال : من المكان الفلانى . فقال له : اذهب بهذا معك فأَره المكان الذى أخذت منه . فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة ، وقال : من ها هنا أخذت . فقال الرجل : ها هنا

---

(١) وردت هذه القصة بألفاظها تقريباً فى كتاب الأذكياء لأبى الفرج ابن الجوزى ص ٥٥ — ٥٦

(٢) أبو شجاع فنا خسرو الملقب عضد الدولة بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى، أعظم ملوك الدولة البويهية . ولد سنة ٣٣٤ وولى فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة ثم تغلب على العراق وانتزعها من يد ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة وضم كذلك الموصل وبلاد الجزيرة ، وهو أول من خطب له على المنابر ببغداد مع الخليفة وتلقب بألقاب الملك . وتوفى ببغداد سنة ٣٧٢ . راجع ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٥٠ — ٥٥ ، رقم ٥٣٢ وما ورد بحاشية هذا الموضع من مصادر .

والله تركت مالى ، فرجعا إلى عضُدِ الدولة ، فأخبراه ، فقال للرجل : هلُمَّ المال فهو قبَلك ! وتوعده . فأحضر المـــال فدفعه عضد الدولة لصاحبه . فشكره ودعا له ، وانصرف .

الزهرة السبعون :

جلس[1] الخليفــة أبو جعفر المنصور يوما فى أحد متنزهاته المشرفةِ على دِجْلَةَ ، فرأى رجلا مهموماً ملهوفاً يجول فى الطرقات . فأرسل من أتاه به ، فسأله عن حاله ، فأخبره الرجل أنه خرج فى تجارةٍ له فأفاد مـالاً ، وأنه رجع بالمـال إلى منزله ، فدفعه إلى أهله ، فذكرت امرأته أن المال سُرِق من بيتها ، ولم يَرَ نقباً ولا ما يستدل به على أخذه من الدار . فقال له المنصور : مُذْ كَمْ تَزَوَّجْتَها ؟ قـال : منذ سنةٍ . قال : أفبِكراً تزوجتها ؟ قال : لا . قال : فلها وَلَدٌ من سواك ؟ قال : لا . قال : فشابة هى أم مُسِنَّة ؟ قال : بل حَدَثَةٌ . فدعا المنصور بقارورة طيبٍ كان يُتَّخَذُ له حادِّ الرائحة غريب النوع ، فدفعها إليه ، وقال له : تطيَّبْ من هذا الطيب فإنه يُذهِبُ هَمَّكَ .

فلما خرج الرجلُ من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثِقاته : ليقعد على كل بابٍ من أبواب المدينـة واحد منكم فمن مَرَّ به فشم منه رائحة هذا الطيبِ — وأَشَمَّهُمْ[2] منه — فليَأْتنى به .

وخرج الرجل بالطيب ، فدفعه إلى امرأته وقال لهـا : وَهَبَهُ لى أمير المؤمنين . فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبُّه ، وقد كانت دفعت المال إليه فقالت له : تطيَّبْ من هذا الطيب فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجى . فتطيَّب

(١) وردت هذه القصة نفسها فى كتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ٤١ ، وكذلك فى نهاية الأرب للنويرى ١٥١/٣

(٢) فى الاصل : وأشممهم .

الأمراء من أولاد خلفاء بنى أمية بالأندلس فى أنسٍ قد طَمَا به سروره ، وَكان صاحب قنصٍ تغلب عليه لَذَّتُه ، فاستدعى بازِيًا عتيقًا كان كلفًا به ، مشفقًا عليه ، كثير التَعَهُّدِ له ، فأُدْنِىَ إليه ، وجعل يمسح أعطافه ويُعَدِّلُ قوادمه ، ويرتاح لنشاطه . فسأله هذا المغنى ابن زرياب أن يهبه له إثر إطرائِهِ إياه ، فاستحيا من رده ، وأعطاه إياه مع ضَنِّه به . فدفعه ابن زرياب لغلامه ليُعَجِّلَ به إلى منزله ، وأَسَرَّ إليه بسر لم يُطْلِعْ عليه من حَضَرَه .

فمضى لشأنه ، ولم يلبث به أن جاءه بطَيْفُورٍ(١) مُغَطًّى ، فكشف عنه ، فإذا فيه لون مَصُوصٍ(٢) قد اتُّخِذَ له من البازى بعد ذبحه على ما حده لأهله ، فوضعه بين يدى الأمير الذى كان عنده . وقال له : شاركنى يا سيدى فى طعامى هذا ، فإنه شريف التركيب ، بديع الصناعة .

فلما رآه الرجل أَنْكَرَ صِفَتَه ، وعاف لحمه ، وسأله عنه ، فقال : هو البازى الذى كنت تُعَظِّمُ قَدْرَه ولا تصبر عنه ، فقد صَيَّرْتُهُ إلى ما ترى . فغضب صاحب المنزل حتى رَبَا فى أثوابه ، وفارقه حِلْمُه ، فقال له : قد كان والله أيها الكلب السفيه عندى على ما قَدَّرْتَهُ ولا اهتديت فيه إلا بكبار

---

(١) فى نفح الطيب : بطيفورية . والصواب ما جاء فى الأصل . والطيفور لفظ شائع كان مستخدماً فى الأندلس ، وقد دخل إلى اللغة الإسبانية وأصبح من تراثها اللغوى فى صورة Ataifor ، ولهذا اللفظ كما ورد فى معجم اللغة الاسبانية الذى وضعه المجمع اللغوى الملكى معنيان :

— الأول : صحن كبير عميق يستخدم لتقديم اللحوم .

— والثانى : مائدة صغيرة مستديرة كان استخدامها شائعاً بين مسلمى الأندلس .

وتتبع هذا اللفظ واستخدامه فى النصوص العربية يصدق هذين المعنيين ، فسياق النص الذى بين أيدينا يقتضى أن يكون الطيفور الذى أعد فيه لون المصوص هذا من البازى بالمعنى الأول أى الصحن الكبير العميق . أما بالمعنى الثانى أى المائدة الصغيرة فهو كثير الورود فى مجموعة الوثائق الغرناطية التى نشرها المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٦١ بتحقيق الأستاذ سيكو دى لوثينا . انظر ص ٤٩ من المقدمة الاسبانية وص ١٥٢ من الترجمة الاسبانية (مسرد الألفاظ ذات الدلالة الخاصة)

Luis Seco de Lucena: *Documentos arábigo-granadinos,* Instituto (Egipcio) de Estudios Islámieos, Madrid 1961, pp. XLIX, 152.

(٢) المصوص ، بفتح الميم ، لحم يطبخ فى الخل ويطبخ .

المؤثرين لمثله . وما أَسْعَفْتُكَ به إلا مُعَظِّماً من قدرك ما استصغرت من قدرى ، وأظهرت من هوانى وهوانِ السُّنَّةِ ، باستحلالِكَ لسباع الطير المَنهىِّ عنها ، ولا أدَعُ والله الآن تأديبك إذ أهملك أبوك مُعَلِّمُ الناسِ [153] المروءةَ .

فدعا له بالسوط ، وأمر بِنَزْعِ قَلَنْسُوَتِهِ ، وساطَ هامَتَهُ مائةً وافِيةً . فاستحسن الناس فعله ، وأَبْدَوُا الشماتَةَ به .

الزهرة الثالثة والسبعون :

ذُكِرَ أن الخليفة موسى الهادى كان يوماً فى بستان له ، ومعه أهل بيته وبطانَةُ دولته ، وهو راكب على حمار ، وليس معه سلاح . فدخل عليه حاجبه ، فأخبره أن رجلا من الخوارج جِيءَ به أسيراً ، وكان الهادى حريصاً على الظفر به ، فأمر بإدخاله بين رَجُلَيْنِ قد أمسكا بِيَدَيْه .

فلما رأى الخارجِىُّ الهادىَ جذب يديه من الرجلين اللذين كانا يمسكانه ، واخترط سيف أحدهما ، ووثب نحو الهادى . ولما رأى ذلك مَنْ كان حول الهادى من أهله وخاصته فروا جميعاً ، وبقى الهادى وَحْدَه على حماره بمكانه . حتى إذا قرب الخارجى منه وكاد يعلوه بالسيف قال الهادى : اضربْ عُنُقَه يا غلام ! .

فالتفت الخارجى حين سمع ذلك ، وظن أن الغلام كان من ورائه . فوثب الهادى عن سَرْجِهِ ، فإذا هو على الخارجى ، وسقط الخارجى تحته . فقبض الهادى على يديه ، وانتزع منه السيف ، فَذَبَحَهُ به ، ثم عاد إلى ظهر حماره من فوره ، وتراجع إليه خاصَّتُهُ وأهله وقد مُلِئُوا رعباً وحياءً منه فما خاطبهم فى ذلك بحرف ، ولم يكن بعد ذلك يفارقه سيفٌ ، ولا يركب إلا الخيلَ .

الزهرة الرابعة والسبعون :

لما ثار أهل الربض بقرطبة على الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، وجاهروا بالمعصية ، وحملوا السلاح عليه وزحفوا فى جموعهم إلى باب القصر يقاتلونه ويبسُطونَ ألسنتَهم فيه ، وهم كالجراد [154] المنتشر كثرة ، على الكريهة والإيقاع به ، وأحاطوا بقصره ، فلم يَشُكَّ هو ومن معه بأنهم مغلوبون غَرَّبَ فى بأساء حربه هذه ، عند ما حَمِيَ وطيسُها ، وأعْضَلَ خطبُها ، بنادرة من نوادر الصبر والتوطين(١) [١٨] على الموت ما سمع لأحد من الملوك مثلها ، وذلك أنه فى مَقَامه بالسطح وعند بصره باشتداد الحرب وجثوم الكرب وقعقعة السلاح وانتماء الأبطال قال لخادم كان واقفاً على رأسه(٢) : جئنى بقارورة غالِيَةٍ(٣) . فكأن الخادم شك فى طَلِبَتِهِ واتهم سمعه ، فتوقف عن المُضِيِّ لما أمره به(٤) . فصاح به وأعاد عليه بطلبها ، فلما أتاه بها غَشَّى بها رَأْسَه ولحيته ، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له : وأيةُ ساعة طيب هذه(٥) يا مولاى ، وقد ترى ما نحن فيه ! فقال له : اسكت ، قبحك الله ، وكيف يعرف قاتلُ الحَكَمِ رأسَه من رأس غيره إذا هو حَزَّه ؟ فعجب الخادم ومن حَضَرَهُ من قوة نفسه وطيبها على المكروه مع إبلاغه فى حماية سلطانه . ثم شد على نفسه ،

---

(١) عند هذا الموضع ينتهى الخرم الواقع فى المخطوطة ب والممتد من الزهرة الثانية والأربعين، مما جعلنا نعتمد فى الصفحات السابقة على نسخة ا وحدها بصفتها أصلا وحيداً . وابتداء من هنا حتى آخر الكتاب سوف يكون اعتمادنا على الأصلين معا .

(٢) ذكرت المصادر الأخرى اسم هذا الخادم ، فابن القوطية وابن حيان الذى ينقل عنه يذكرانه باسم « يزنت » (ويقابل بالاسبانية Jacinto ومعناه ياقوت) وصاحب الأخبار المجموعة يذكره باسم « بزنت » (بالاسبانية Vicente) . انظر الخلاف حول ذلك فى كتاب ليفى بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية ١/١٩٠—١٩١ وحاشية رقم ٣ ؛ والحلة السيراء لابن الأبار ١/٤٦ ، حاشية رقم ١ .

(٣) الغالية أخلاط من الطيب ، وقد انتقلت هذه الكلمة إلى المعجم الاسبانى بنفس صورتها العربية (algalia) وبنفس المعنى .

(٤) هذا اللفظ ساقط من النسخة ا .

(٥) فى ا : هذا وقد أثبتنا ما فى ب .

واستلأمَ للحربِ ، وشمر عن ساعده ، ورَتَّبَ الكتائب ، وعبَّأ الرُّدودَ ، وكَرْدَسَ الكراديس ، وأخرج الجند والعبيد ، فجالدوهم على باب القنطرة جلاداً شديداً فانهزموا أعظم هزيمة ، وقُتِلوا مقتلة عظيمة ، وكان من أمرهم ما هو مشهور (١) .

الزهرة الخامسة والسبعون :

لما أظفر [الله] (٢) الأمير الحكم بأهل الربض القائمين عليه بقرطبة شاور فيهم كاتبه فُطَيْسَ بن سليمان (٣) وحاجبه عبد الكريم بن مغيث (٤) وقاضيه الفرجَ بْنَ كنانةٍ (٥) ؛ فأشار عليه فطيس بن سليمان بالإثخان فى القتل واستباحة العامة وهَدْمِ الرَّبَضِ وتَعْفِيَةِ أثره وتحريم البناء فيه ما كان [155] لهم سلطان

---

(١) عن ثورة الربض انظر ليفى بروفنسال : تاريخ اسبانيا الاسلامية ١ / ١٦٥ — ١٧٠ . وقد وقعت هذه الثورة فى سنة ٢٠٢ (٨١٨) .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . وفى ا : لما ظفر الأمير الحكم . . .

(٣) أبو سليمان فطيس بن سليمان ، دخل الأندلس فى أيام عبد الرحمن الداخل وولى له ولايات عديدة ، وكذلك لابنه هشام ، فلما اعتلى الإمارة الحكم بن هشام أمضاه على الوزارة وأسند إليه الكتابة وكان له فى وقعة الربض مقام محمود ، وكانت وفاته فى أواخر أيام الحكم أو أوائل أيام عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠٧ (٨٢٢) . انظر عنه ما كتبناه فى تعليقاتنا على الجزء الخاص بإمارة عبد الرحمن بن الحكم من المقتبس لابن حيان ص ٧٦ من النص والحاشية رقم ١٨٦ من التعليقات (ص ٤٨٢) حيث أوردنا قائمة كاملة بالمراجع التى أوردت ذكره .

(٤) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث حاجب الأمير الحكم وقائده وكاتبه ويصفه الرازى بأنه « أكمل من ولى الحجابة لبنى مروان » ويعد من أعظم رجالات دولة الأمويين فى الأندلس . توفى سنة ٢٠٩ (٨٢٤) فى أيام عبد الرحمن بن الحكم . وقد استوفينا الحديث عن المراجع التى أوردت ذكره فى تعليقاتنا على المجلد الذى أشرنا إليه من المقتبس ص ٢٥ تعليق رقم ٨٢ ص ٤٤٤—٤٤٦ .

(٥) الفرج بن كنانة الكنانى الشذونى قاضى الجماعة للامير الحكم بن هشام . توفى سنة ١٩٨ (٨١٣—٨١٤) . انظر فى ترجمته الخشنى : كتاب القضاة بقرطبة ، بتحقيق خوليان ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ ص ٧١—٧٦ ؛ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٨ ؛ ابن الفرضى ، ترجمة رقم ١٠٢٨ ؛ الحميدى : جذوة ، رقم ٧٦٢ ؛ ابن سعيد : المغرب ١٤٦/١ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الخاص بالأندلس ص ١٢ ؛ النباهى : المرقبة العليا ص ٥٣ ؛ ليفى بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية ١٤٤/١ .

بالأندلس[١] ، وأشار عليه حاجبه عبد الكريم بن مغيث بضد ذلك من الصفح والإبقاء ، وقال له : إن الله قد أحسن إليك بالظفر ابتــلاء لك ، فأحسن إلى خلقه بعفوك عنهم ، وأشار عليه قاضيه الفرج بن كنانة بالصفح عنهم ، وقال له : أيها الأمير ، إن قُرَيْشاً حاربت رسول الله صلى الله عليه وسلم وطردته وبالغت فى أذاه ، وناصبته العداوة وهو يدعوهم إلى الهدى ، ثم كان من صفحه عنهم لمـا أظفره الله بهم ما قد علمته ، وأنت أحق الناس بالاقتداء به لقرابتك منه ومكانك من خلافته فى عباده .

فَقَدَعَ[٢] ذلك منه [٨ ب] وبذل الأمان لِفَلِّ[٣] القوم على الجلاء عن أوطانهم بقرطبة ، فأجفلوا فى الهرب الذى عَلَّقُوا[٤] الأمان عليه ، ففروا عنها إلى كل جهة ، متفرقين فى أقصى الكوَر وأطراف الثغور .

وخرجت منهم ثلاث طوائف كبار :

الطائفة الواحدة منهم فروا إلى طُلَيْطُلَة ، واعتاموها لأجل خلاف أهلها على الخليفة الحكم ، فاستقروا فيها حتى أوقع بعد ذلك بأهلها وبهم فى الجملة[٥] .

---

(١) على الرغم مما يذكره المؤلف هنا من أن الأمير الحكم أخذ بمشورة حاجبه عبد الكريم بن مغيث وقاضيه الفرج بن كنانة من الصفح عن نوار الربض فإن الواقع يدلنا على أنه أخذ برأى وزيره فطيس بن سليمان فى هدم الربض وتعفية أثره وتحريم البناء فيه ، بل إنه أوصى إلى من تلاه من أمراء بنى أمية ألا يسمحوا بعودة المبـانى إلى الربض وظلت وصيته محترمة نحو قرنين من الزمان إذ لم يبدأ فى البناء فيه إلا فى أيام الحاجب المظفر عبد الملك بن أبى عامر فى العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى . انظر المقتبس لابن حيان بتحقيقنا ، حاشية رقم ٥٧ ص ٤٤٨ — ٤٤٩ ، وليفى بروفنسال : تاريخ ٣ / ٣٨٠ — ٣٨١ .

(٢) فى ب « فقدم » ، وقد أثبتنا ما ورد فى « ا » وهو الصواب . يقال « قدع » بمعنى كف ومنع . ولفظ ذلك ساقط من ا .

(٣) فى ب « لجل » وقد أثبتنا ما جاء فى « ا » وهو الصواب .

(٤) فى ب « علق » .

(٥) أشار ابن سعيد أيضاً إلى هذه الطائفة التى لحقت بطليطلة وذكر أنهم كاتبوا مهاجر بن القتيل الذى كان قد لحق بدار الحرب (أى أرض النصارى) وولوه عليهم (انظر المغرب ١ /٤٢) . كذلك ذكر ابن الخطيب فى أعمال الأعلام (ص ١٥) أن أحد أجداده الأولين المعروف بابن وزير كان من بين هؤلاء المهاجرين إلى طليطلة . انظر ما كتبه ابن الخطيب عن أولية بيته (المقرى : نفح ٥/ ١٠) وانظر كذلك ليفى بروفنسال (تاريخ ١/١٦٩) .

والطائفة الثانية توجهت إلى العُدْوَة لبلاد البرابر ، ونزلوا بعدوة الأندلسيين من مدينة فاس(١) ، ومن حين نزولهم بها نسبت إليهم ، فقيل « عُدْوَة الأندلسيين » ، وبهم عمرت تلك العدوة وكثر أهلها وتَمَدَّنَتْ ، وكان ذلك سنة اثنتين ومائتين وأميرها إذ ذاك القاسم بن الأمير إدريس بن إدريس(٢) ـ الواصل إلى المغرب ـ بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم(*) . وكان بَيْنَ بُنْيَانِها وبين بنيان مدينة فاسٍ القديمة ثلاثون سنة ، فإن مدينة فاس [156] بنيت سنة اثنتين وسبعين ومائة لما دخل إلى بلاد المغرب جده إدريسُ بن عبد الله المذكور هارباً بنفسه من أبى جعفر المنصور(٣) ، إذ كان قد خرج عليه مع الحسين بن على [بن الحسين](٤)

(١) حول استقرار هؤلاء الأندلسيين بتلك العدوة المنسوبة إليهم من مدينة فاس انظر البحث الذى اختص ليفى بروفنسال به هذه المسألة فى كتابه الإسلام فى المغرب والأندلس : Lévi-Provençal: *L'Islam d'Occident*, pp. 1-41. (وانظر الترجمة العربية لهذا الكتاب بقلم الأستاذين الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ١٩٥٨ ، المقالة الأولى) وقد عاد بروفنسال إلى الكتابة عن ذلك فى تاريخه (١/١٧٠) .

(٢) الحقيقة أن المغرب الأقصى كان فى ذلك الوقت (سنة ٢٠٢/٨١٨) تحت حكم إدريس الثانى بن إدريس الأول (مؤسس الدولة) بن عبد الله بن الحسن إذ كانت وفاة إدريس هذا فى سنة ٢١٣ (٨٢٨) وقد خلفه ابنه محمد الذى اتخذ مدينة فاس عاصمة له ، وولى أخاه القاسم المذكور هنا على البصرة وطنجة . وربما كان المقصود أن القاسم كان يتولى حكم مدينة فاس فى ذلك الوقت لأخيه محمد الأمير . (عن القاسم المذكور انظر ترجمته فى ابن الأبار : الحلة السيراء ١/١٣١ وما بعدها ، وتعليق الدكتور مؤنس فى حاشية هذا الموضع) . والحقيقة أن جدول نسب الأسرة الإدريسية وسنوات حكم أمرائها لا يزال فيه اضطراب كثير يحتاج إلى مزيد من التحقيق .

(*) على حاشية هذا الموضع فى نسخة « ا » بخط مختلف عن خط الناسخ هذا التعليق : « من أخبار الأدارسة ، وفيه تخليط » .

(٣) لهذه العبارة أهمية كبرى فى تحديد التأسيس الأول لمدينة فاس ، فقد كان الشائع بين المؤرخين (اعتماداً على كتاب روض القرطاس لابن أبى زرع وغيره) أن الاختطاط الأول لفاس كان على يد إدريس الثانى بن إدريس الأول الحسنى . وقد أعاد ليفى بروفنسال بحث هذه المسألة فى كتابه الذى أشرنا إليه عن اختطاط مدينة فاس وانتهى من دراسته إلى أن مؤسس فاس الحقيقى كان إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن ، وأن ذلك كان سنة ١٧٢ (٧٨٩) وقد اعتمد بروفنسال فى تأكيده لهذه النتيجة على نص للرازى المؤرخ الأندلسى جاء فى الحلة السيراء لابن الأبار (بتحقيق مؤنس ١/٥٤ — ٥٥) وعلى عبارات أخرى لمؤرخين متأخرين . ويأتى هذا النص الآن صريحاً فى تحديد تاريخ اختطاط فاس القديمة بسنة ١٧٢ على يد إدريس الأول كما نرى ، وفيه شهادة لصحة ما ذهب إليه ليفى =

بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فقُتِلَ الحُسَيْنُ فى وقيعة فَخّ ، وتفرق أصحابه (١) ، فلجأ إدريس إلى المغرب فى خبر طويل ، فاجتمع عليه البربر ، وقدموه على أنفسهم وبنوا له مدينة فاس ، وكانت أَجَمَةً شَعْرَاءَ ، ولما احتُفِرَتْ أساساتها أُلفى فى بعضها فاس ، فسميت مدينة فاس بسبب ذلك . والحديث فى مثل هذا إن تُتُبِّعَ يطول .

والطائفة الثالثة وكانت طائفة عظيمة ذات عِدَّةٍ وجَلَدٍ بلغت خمسة عشر ألفاً ركبوا البحر من مرسى بَجَّانَة (٢) ، وأصعدوا نحو الشرق حتى أتوا إلى الإسكندرية ؛ وعَارَّهُمْ أهلها فَسَطَوْا بهم سطوةً مُنكرة هزموهم غِبَّها (٣) وبذلوا السيف فيهم فقتلوا منهم وملكوها (٤) . وكان سبب ثورتهم على أهل الإسكندرية

= بروفنسال حول هذا الموضوع . وقد أورد الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ ابراهيم الكتانى فى تعليقهما على النص الخاص بتأسيس مدينة فاس من كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب (القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب العربي ، نشر الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ ص ١٩٨ — ١٩٩) موجزاً طيباً لآراء ليفى بروفنسال حول هذه المسألة . وقد وافقاه فى نهاية بحثهما على رأيه .

(٤) تكملة لازمة لصحة الاسم والنسب .

(١) عن وقيعة فخ الكائنة فى يوم التروية ٨ من ذى الحجة سنة ١٦٩ (١١ يونية سنة ٧٨٦) وعن مصرع الحسين بن على فيها انظر تاريخ الطبرى ٦/٤١٠ ومروج الذهب للمسعودى ٣/٢٤٨ واليعقوبى ٣/١٣٧ وابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ٢/٥٩ وأبو الفرج الإصبهانى : مقاتل الطالبيين ، بتحقيق السيد صقر ، ص ٤٣١ .

(٢) فى ب : بجاية وهو تحريف ، إذ المقصود هو بجانة Pechina التى كانت من أهم مراسى الساحل الاندلسى الجنوبى قبل أن يبنى عبد الرحمن الناصر مدينة المرية فى سنة ٣٤٤ (٩٥٥ — ٩٥٦) . وهى الآن قرية تقع على بعد ١٠ كم إلى الشمال من المرية . انظر عنها دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بقلم ليفى بروفنسال ٣/١١٠٩ والدكتور أحمد مختار العبادى : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس ص ٤٧ ، وكذلك الدكتور حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص ١٢٣ — ١٢٦ .

(٣) فى ب : وهزموهم بها .

(٤) قام هؤلاء الأندلسيون الربضيون باحتلال الاسكندرية ثم جزيرة إقريطش بقيادة أبى حفص عمر بن شعيب البلوطى (نسبة إلى فحص البلوط) . انظر حول هذه المغامرة وأحداثها ليفى بروفنسال : تاريخ ١/١٧٢ — ١٧٣ ؛ وكذلك الدكتور حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، مايو ١٩٥١ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ وما فى هذين المصدرين من مراجع .

أن جزاراً منهم ضرب وجهَ رجل من هؤلاء الأندلسِّيين بكَرِشٍ مُلَوَّثةٍ ، فنادى أصحابه ، فامْتَعَضُوا له ، وقاموا على أهل البلد ، فغلبوهم ، وأقاموا به إلى أن صالحهم على الخروج سلماً عنه ابن طاهر(١) عامل عبد الله [١٩] المأمون بن الرشيد من خلفاء بنى العباس بالمشرق ، وخَيَّرَهُمْ فى الحلول حيث يختارون من جزائر البحر ، ويعانون على حلولهم بها ، فاختاروا جزيرة إِقْرِيطَش ، وكانت يومئذ خالية من الروم ، فاحتملوا إليها بِكُلِّيَّتِهِمْ ونزلوا بها فاعتمروها ، وجاءهم الناس من كل مكان ، وأقاموا بها إلى حين استيلاء الروم على بَيْتِ المَقْدِسِ(٢) .

[157] الزهرة السادسة والسبعون :

ذُكِرَ أن سليمان بن عبد الملك بن مروان لما قدم عليه من الأندلس

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين ، أحد أكابر القواد ورجالات الدولة فى عهد الخليفة المأمون . كان أبوه طاهر بن الحسين والياً على خراسان وكذلك أخوه طلحة ، واستعان المأمون أيضاً به فى إخماد كثير من الفتن ، فلما نجمت فتنة الأندلسيين الذين احتلوا الإسكندرية ندبه المأمون لتأمين مصر وإخراج هؤلاء الأندلسيين ، فدخل مصر سنة ٢١١ (٨٢٦) واستطاع الوصول معهم إلى اتفاق يجلون بمقتضاه عن البلاد على أن يعينهم بمراكبه على التوجه إلى أى جزائر البحر أرادوا ، فاختاروا جزيرة إقريطش (كريت) التى كانت من أراضى الدولة البيزنطية ، فاحتلوها فى سنة ٢١٢ (٨٢٧) . وعاد عبد الله بن طاهر بعد إنهاء مهمته إلى بغداد ، وهو رأس الدولة الطاهرية التى حكمت خراسان زمنا . انظر عن ابن طاهر دائرة المعارف الاسلامية ١/٣٢ (مادة بقلم زيترشتين K. V. Zetterstéen والمراجع المثبتة هناك) .

(٢) ليس صحيحاً ما يذكره المؤلف هنا من أن المسلمين ظلوا فى جزيرة إقريطش حتى استولى الروم على بيت المقدس ، وإنما وقع ذلك فى سنة ٣٥٠ (٩٦١) حينما هاجم الجزيرة القائد البيزنطى نقفور فوقس Nicephore Phocas (الذى قدر له بعد ذلك أن يعتلى عرش الامبراطورية البيزنطية) وكان قد عهد بذلك إليه الملك رومانوس الثانى Romanus II ، فافتتح الجزيرة وأعادها إلى الدولة البيزنطية وحمل أميرها عبد العزيز بن حبيب بن عمر (سليل أبى حفص البلوطى فاتح إقريطش) إلى القسطنطينية أسيراً ، فقضى بها بقية حياته . انظر ليفى بروفنسال : تاريخ ١/١٧٢

موسى بن نصير(١) قال له : يا موسى ، مَنْ خَلَّفْتَ على الأندلس ؟ قال : ابنى عبد العزيز . قال : ومن خلفت على إفريقية وطنجة ؟ قال : ابنى عبد الله . قال : ومن خلفت على السوس ؟ قال : ابنى مروان . قال له سليمان : لقد أَنْجَبْتَ يا موسى ! فقال له : ومن أَنْجَبُ منى يا أمير المؤمنين ؟ إن ابنى عبد العزيز أتى بِملِك الأندلس لذريق(٢) ، وأتى ابنى عبدُ الله بملك مَيُّورقة

(١) الخبر الوارد فى هذه الزهرة من جنس هذا الأدب الكثير الذى قام فيه الخيال الشعبي بدور فعال والذى أدت إليه محنة موسى بن نصير هذا القائد العظيم فاتح الأندلس على يد الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد عودة موسى إلى المشرق . ويظهر أن ذرية موسى بن نصير فى الأندلس من ناحية (من سلالة ابنه عبد العزيز) وفى مصر من ناحية أخرى (من نسل ابنه مروان) قد أسهمت بنصيب كبير فى ترويج أمثال هذه القصص والأخبار والمحاورات التى تمثل موسى بن نصير فى صورة البطل الشهيد الذى لم تشفع له فى محنته بطولته الفائقة ، بل والذى أحاطه الخيال الشعبي بهالة من القداسة ونسب إليه كرامات وخوارق تجاوز كل حد معقول . على أنه ينبغى أن ننبه إلى أن هذه الأخبار الأسطورية لها نواة من الحقيقة كما سنرى فى هذا الخبر نفسه . وقد ولد موسى بن نصير فى سنة ١٩ (٦٤٠) وولاه عبد العزيز بن مروان على افريقية سنة ٨٦ (٧٠٦) بعد حسان بن النعمان فأكمل فتح المغرب ثم أرسل مولاه طارق بن زياد فى سنة ٩٢ (٧١١) ففتح الأندلس ، ثم توجه هو نفسه فى السنة التالية إلى هذه البلاد فأكمل فتحها ، على أنه لم يلبث أن استدعي إلى المشرق ، ولكنه لم يصل إلى دمشق إلا قبل وفاة الوليد بن عبد الملك (فى ٩٦/٧١٥) بأربعين يوماً ، فلما ولى الخلافة سليمان بن عبد الملك — وكان متغيراً على موسى — أساء لقاءه وقبل فيه وشايات حساده وما زال الأمر كذلك حتى وفاة موسى فى سنة ٩٨ (٧١٦/٧١٧) . (عن شخصية موسى بن نصير التاريخية وأعماله وفتوحه انظر ما كتبه الدكتور حسين مؤنس فى « فجر الأندلس » ص ٤٦ — ١١٠ وليفى بروفنسال : تاريخ ١/٨ — ٢٩ والمراجع المثبتة فى هذين المرجعين) . أما الأساطير التى نسجت حول موسى وأبنائه فقد اختصصت بها جانباً كبيراً من بحث سبق لى نشره بالإسبانية عن « مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى » :

M. Makki: *Egipto y los orígenes de la historiografía arábigo-española*, Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, 1957, vol. V, pp. 157-248.

وقد ألحقت بهذه الدراسة الفصول الخاصة بالأندلس من « تاريخ » عبد الملك بن حبيب الإلبيرى (ت ٢٣٨ — ٨٥٢) وقمت بعقد مقارنة بين هذه الفصول وتلك الخاصة بفتح الأندلس من كتاب « الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة ، وقد تبين لى أن هذه الفصول إنما هى من تأليف حفيد لموسى بن نصير من نسل ولده مروان كان مصريا معاصراً لابن حبيب .

(٢) عبد العزيز بن موسى بن نصير ، رافق أباه فى حملته على الأندلس ، وهو الذى تولى فتح اشبيلية ولبلة وباجة من بلاد غرب الأندلس ، ثم فتح مالقة والبيرة وتدمير من المنطقة الشرقية ، وعهد إليه موسى بحكم الأندلس عند خروجه إلى المشرق فى سنة ٩٥ (٧١٤) وظل واليا على البلاد حتى سنة ٩٧ (٧١٦) حينما اغتيل بأيدى بعض أصحابه فى خبر طويل . انظر الدكتور حسين مؤنس : =

ومنورقة وصِقِلِّيَّة وسِرْدَانيـة[(١)] ، وأتى ابنى مروان بملك المغرب والسوس الأقصى[(٢)] ، فهم مفترقون فى الأمصار وغيرها ، فيأتون من السَّبْيِ بما لا يحصى . فمن أنجب منى ؟ فقال سليمان : ولا أمير المؤمنين ليس بأنجب منك ! فقال له موسى بن نصير ، شأنُ أمير المؤمنين شأنٌ ليس فوقه شأن[(٣)] ، لأن كل شيء — وإن عَظُمَ — دُونه ، لأنه به وعلى يديه ومنه وعن أمره .

= فجر الأندلس ص ٩٥ — ٩٦ ، ١١١ — ١١٩ ، ١٢٩ — ١٣٥ وليفى بروفنسال : تاريخ ٣٠ — ٣٤ . وأما ما قيل هنا على لسان موسى من أن عبد العزيز قد أتى بملك الأندلس لذريق فهو ما لم يؤيده أى مرجع تاريخى .

(١) عبد الله بن موسى بن نصير عهد إليه أبوه موسى ببعض الحملات أثناء ولايته على إفريقية ثم استخلفه عليها عند عودته إلى المشرق بعد دخوله الأندلس فى سنة ٩٦ (٧١٤) ، وحينما ولى يزيد ابن أبى مسلم كاتب الحجاج الثقفى على افريقية سنة ١٠١ (٧٢٠—٧٢١) أصحب معه عبد الله بن موسى غير أنه سرعان ما تغير عليه فأبعده واستصفى أمواله ، فعمد عبد الله على تحريض البربر على يزيد حتى قتله حرسه سنة ١٠٢ (٧٢١) وهنا أمر يزيد بن عبد الملك عامله على مصر بشر بن صفوان بالنهوض إلى افريقية ، فدخلها فى نفس السنة وقتل عبد الله بن موسى . انظر فجر الأندلس ص ١٥٦ — ١٦٠ أما ما يذكر هنا على لسان موسى من إتيان عبد الله بن موسى بملك ميورقة ومنورقة وصقلية وسردانية فمن الواضح أنه لا صحة لهذا من الناحية التاريخية ، ولم يكن لهذه الجزائر الأربع ملك واحد حتى يأتى به عبد الله . ومع ذلك فإن الخبر ليس اختراعاً محضاً ، بل له نواته من الحقيقة شأنه كشأن كثير من تلك الأخبار التى تضخمت تفاصيلها فى أخيلة الناس تضخماً هائلا ، ذلك أننا نعرف أن موسى ابن نصير وجه بالفعل إحدى سراياه إلى جزيرة صقلية . فقد ذكر ابن عذارى نقلا عن ابن القطان (البيان المغرب ٤٣/١) أنه عقد لعياش بن أخيل على مراكب افريقية فمشى فى البحر إلى صقلية وأصاب غنائم كثيرة حازها فى مدينة سرقوسة . وهنا نرى أصل الخبر الذى نسجت حوله مأثرة عبد الله بن موسى المذكورة على لسان موسى .

(٢) مروان بن موسى بن نصير هو أوفر ولد موسى نصيبا من المفاخر المنسوبة لتلك الأسرة إلى درجة أن اسمه يقترن بكثير من الفتوح الخرافية فى بعض قصص « ألف ليلة وليلة » ، وأكثر ما نجده من ذلك فى تاريخ عبد الملك بن حبيب وفي تلك القطعة المنسوبة لابن قتيبة من « الإمامة والسياسة » وهى التى ذكرنا أنها في الحقيقة كتاب لمبارك بن مروان النصيرى حفيد مروان نفسه . ويذكر فى هذين المصدرين بالفعل أن مروان هو الذى فتح السوس الأقصى وأتى منه « وهو يجر الدنيا جراً بالسبى » (انظر تاريخ ابن حبيب ، القطعة التى ألحقناها بمقالنا عن « مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى » ، ص ٢٢٤) .

(٣) في ا : شيء .

الزهرة السابعة والسبعون :

سأل سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير(١) ، فقال له : ما كُنْتَ تفْزَعُ إليه عند خروجك إلى حربك ، ومباشرة عدوِّك ؟ قال : الدعاء والصبر عند اللقاء . قال : فأَيَّ الخيل رأيتها فى تلك البلاد أصبرَ ؟ قال : الشقر . قال : فأى الأمم كانوا أشد(٢) قتالا ؟ قال : هم أكثر من أن أصفهم لك ؟ قال : فأخبرنى عن الروم . قال : أسود فى حصونهم ، عِقْبَانٌ على خيولهم ، إن رأوا فرصة افترصوها ، وإن رأوا غَلَبَةً فأوعالٌ تذهب فى الجبال ، لا يرون الهزيمة عارا . قال : فأخبرنى عن البربر . قال : هم أشبهُ بالعرب لقاءً ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة ، غير أنهم أغدر الناس لا وفاء لهم ولا عهد . قال : فأخبرنى [158] عن أهل الأندلس . [٩ ب] قال : ملوكٌ مترفون ، وفرسانٌ لا يَجْبُنُون . قال : فأخبرنى عن الإفرنج . قال : هنالك العدد والعدة ، والجلد والشدة ، والبأس والنجدة . قال : فأخبرنى كيف كانت الحرب بينك وبينهم ؟ أكانت لك أم عليك ؟ فقال : أما هذا فوالله يا أمير المؤمنين ما هُزِمَتْ لى رايةٌ . قال : فضحك سليمان وعجب من قوله .

الزهرة الثامنة والسبعون :

لما حاصر أبو جعفر المنصورُ ابْنَ هُبَيْرَةَ بواسط فى خلافة أخيه السَّفَّاح(٣) أرسل إليه ابن هبيرة : إنى خارج إليك يوم كذا وداعيك إلى المبارَزَةِ ،

---

(١) ورد هذا الخبر أيضاً بنصه تقريباً فى تاريخ ابن حبيب الملحق بمقالنا المذكور ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، وقارنه أيضاً بما جاء فى الامامة والسياسة ٢/٨٤ والبيان المغرب لابن عذارى المراكشى ٢/٢١

(٢) فى ا : رأيتها أصبر وأشد قتالا .

(٣) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى كان من أكبر قواد آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد وأقدرهم . وكان أبو العباس السفاح قد وجه أخاه أبا جعفر الذى ولى الخلافة بعده متلقبا بالمنصور =

فقد بلغنى تَجبِينُك إيّاىَ . فكتب إليه : يا بن هبيرة ، إنك امرؤٌ مُتَعَدٍّ طَوْرك ، جار فى عنان غيِّك ، يعدك الشيطان ما الله مكذبه ، ويُقرِّبُ إليك ما الله مُبَاعِدُه ، فرويداً تتم الكلمة ويبلغ الكتاب أجله ، ولقد ضربت لك مثلا فى أمرى وأمرك : بلغنى أن أسداً لقى خنزيرا فقال له الخنزير : قاتلنى . قال له الأسد : إنما أنت خنزير ، ولست لى بكُفُوٍ ولا نظير ، ومتى فعلت الذى(١) تدعونى(٢) إليه فقتلتك قيل قتــل خنزيراً فلم أعتقِدْ بذلك فخراً ولا ذكراً ، وإن نالنى من قِبَلِكَ شىءٌ كان سُبَّةً على . فقال له الخنزير : إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع وأعلمتها أنك نكلت عنى وجبُنْتَ عن قتالى . فقال الأسد : احتمالى كَذِبَكَ أيسرُ عَلَىَّ من لَطْخ شارِبى بدَمِك !

الزهرة التاسعة والسبعون :

ذكر أن أُمَيَّةَ بن عيسى بن شُهَيْد(٣) وزير الخليفة عبد الرحمن بن

= ليحاصره فى واسط عندما اشتعلت ثورة العباسيين ضد بنى أمية ، فاستمر حصار أبى جعفر ليزيد أحد عشر شهراً كان مروان قد قتل فى أثنائها . وترددت السفارات بين أبى جعفر ويزيد حتى انعقد بينهما الأمان ، ولكن أبا العباس السفاح ما زال يلح على أخيه حتى قتله . انظر تفصيل الخبر فى الطبرى : تاريخ ٦/ ١٠٤ — ١١٠

(١) فى الأصلين : التى ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) فى ب : توعدنى ، وما ورد فى ا أصح .

(٣) فى ا : . . . بن أبى عيسى ، والصواب ما أثبتنا عن ب ، أمية بن عيسى بن شهيد هو أجل وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم وأعظم رجال دولته . وكان أبوه عيسى بن شهيد فى مثــل هذه المكانة من عبد الرحمن الأوسط ، فقد ولى له الحجابة حتى وفاته (وفاة عيسى) سنة ٢٤٣ (٨٥٧) . أما أمية فقد عهد إليه الأمير محمد بولاية المدينة والوزارة ، واضطلع أيضاً بقيادة الجيوش فى بعض المناسبات . ولسنا نعرف على وجه التحقيق متى توفى وإن كنا نعتقد أن ذلك كان قبل وفاة الأمير محمد فى ٢٧٣ (٨٨٦) . انظر عن أمية المذكور ابن القوطية : تاريخ ص ٨٥ — ٨٧ ، ٩٤ — ٩٥ ؛ الخشنى : كتاب القضاة بقرطبة ، ط. مدريد ص ١٢٩ — ١٣٠ ، ١٤١ . وفى كتاب المقتبس (بتحقيقنا ، ط. بيروت ١٩٧٣ الجزء الخاص بالأمير محمد ، ص ١٧١ — ١٧٢ ، والحاشية رقم ٣٤١) أخبار كثيرة جديدة عنه . أما الخبر الوارد هنا فقد أورده ابن القوطية فى تاريخ افتتاح الأندلس ص ٩٤ .

الحكم[١] حضر يوماً بدار الرهائن المجاورة — كانت — لباب القنطرة بقرطبة ، ورهائن بنى قَسِيٍّ[٢] وغيرهم من أبناء الثوار ينشدون شعر عنترة[٣] أمام مؤدب . فقال [159] لبعض الأعوان : علىَّ بالمؤدب . فلما وصل إلى القصر وافاه المؤدب ، فقال له : لولا أنى أعذرك بالجهل لأدَّبتُك أدباً موجعاً ، تعمد إلى شياطينَ أبناء شياطين قد شَجِىَ بهم الخلفاء فتُرَوِّيهم شعر عَنْتَرَةَ والشعر الذى يزيدهم بصيرة فى الشجاعة ؟ كف عن هذا ولا تُرَوِّهم إلا خمريات الحسن ابن هانى[٤] وشبهها من الأهزال ومثل شعر عمر بن أبى [١١٠] ربيعة[٥] وجميل[٦] وغيرها من أمثاله[٧] .

---

(١) كذا فى الأصل ، ونظن ذلك وهماً فأمية بن عيسى بن شهيد لم يكن وزيراً لعبد الرحمن ابن الحكم ، إذ لم يرد اسمه فى قائمة الوزراء التى أوردها ابن حيان فى المقتبس (ط. بيروت ١٩٧٣) ص ٢٨ ، ولعل المقصود « وزير الخليفة [محمد بن] عبد الرحمن بن الحكم » .

(٢) بنو قسى من أكبر الأسر الأندلسية التى ملكت الثغر الأعلى (سرقسطة وما حولها) فى ظل بنى أمية منذ القرن الثانى الهجرى حتى أوائل القرن الرابع . وهى تنتمى إلى قسى (تعريب الاسم اللاتينى Cassius) قومس (أى كونت) الثغر الأعلى فى أواخر أيام القوطيين . وكان قد لحق بالشام عند فتح المسلمين للاندلس وأسلم على يدى الوليد بن عبد الملك وانتمى إلى ولائه . وتعاقب بنو قسى على رياسة الثغر ، وكان أشهرهم موسى بن موسى بن قسى (ت ٢٤٨/٨٦٢) الذى اشتهرت وقائعه وأحداثه فى أيام الأميرين عبد الرحمن ومحمد . انظر عن بنى قسى ما كتبناه حول موسى بن موسى فى تعليقاتنا على الجزء الذى نشرناه من المقتبس ، رقم ١ ص ٤٠٣ — ٤٠٦) .

(٣) عنترة بن شداد العبسى الشاعر الجاهلى المشهور المعروف بشعره الحماسى .

(٤) أبو نواس الحسن بن هانى الشاعر العباسى المشهور الذى عرف بخمرياته ومجونه (ت بعد سنة ٢٠٠/٨١٥) . انظر الدكتور شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، العصر العباسى الأول ص ٢٢٠ وما بعدها .

(٥) عمر بن أبى ربيعة المكى (٢٣ — ٩٣ / ٦٤٤ — ٧١٢) شاعر الغزل المعروف من شعراء صدر الإسلام . انظر عنه الدكتور شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، العصر الاسلامى ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٦) جميل بن معمر العذرى أشهر شعراء الحب العفيف فى العصر الأموى . توفى بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان فى أواخر القرن الثانى الهجرى . انظر الدكتور شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، العصر الإسلامى ص ٣٦٧ وما بعدها .

(٧) فى ب : أمثالهم .

الزهرة الثمانون :

حكى أبو العباس ابن العريف الكاتب[1] عن الحاجب حَبُوس بن مَاكْسِنْ ابن زِيرِى بن مَنَاد الصِّنْهَاجى صاحب إلبيرة[2] قال[3] :

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجى المرى (نسبة إلى المرية) المعروف بابن العريف كان من كبار المتصوفة الأندلسيين ، وسعى به إلى سلطان المغرب والأندلس على ابن يوسف بن تاشفين فأمر بإشخاصه إلى مراكش ، وتوفى هناك سنة ٥٣٦ (١١٤١) . انظر فى ترجمة حياته ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/١٥١—١٥٢ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، رقم ١٧٦ ؛ المقرى : نفح الطيب ٣/٢٢٩ ؛ ابن الأبار : معجم أبى على الصدفى ، رقم ١٨ ؛ ابن سعيد : المغرب ٢/٢١١ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : ٤/١١٢ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٤٩ ؛ مفاخر البربر ص ٧٠ ؛ ابن الزيات التادلى : التشوف إلى رجال التصوف ، بتحقيق أدولف فور ، الرباط ١٩٥٨ ص ٩٦—١٠١ ؛ السلاوى : الاستقصا ٢/٦٨ ، ١٨٨ ؛ أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (على هامش الديباج المذهب لابن فرحون) ص ٣٠ ؛ وانظر عنه وعن كتابه « محاسن المجالس » :

Asín Palacios: *El místico Abū-l-ʿAbbās Ibn al-ʿArif de Almería y su «Maḥāsin al-maǧālis»*, apud Obras Escogidas, I, 219-242.

على أن هذا الخبر الوارد هنا لم يرد فى كتاب « محاسن المجالس » فلعله جاء فى كتاب آخر لابن العريف . هذا إذا لم يكن ابن العريف المذكور راوية الخبر شخصا آخر غير الصوفى المشهور .

(٢) حبوس بن ماكسن الصنهاجى كان من كبار القواد البربر الذين استقدمهم المظفر بن المنصور ابن أبى عامر ليعينوه فى حروبه ، وكان قدومه من افريقية ودخوله الأندلس مع عمه زاوى بن زيرى وفى جملة من أهل بيته . فلما نشبت الفتنة فى الأندلس بعد انهيار الدولة العامرية انحاز الصنهاجيون بعد أن خاضوا تلك الفتنة إلى إلبيرة ، وولى أمرهم زاوى بن زيرى حتى بدا له الخروج عن الأندلس والعودة إلى إفريقية لما رآه من كراهية الأندلسيين لقومه البربر ، وذلك فى سنة ٤١٠ (١٠١٩) ، فصار أمر مملكته إلى ابن أخيه حبوس بن ماكسن الذى توطد ملكه حتى وفاته سنة ٤٢٩ (١٠٣٨) . انظر حول ولاية حبوس ودولته ابن عذارى : البيان المغرب الجزء الثالث ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، والاحاطة (راجع فهارس هذه الكتب) وانظر كذلك دراسة شاملة حول بنى زيرى فى الأندلس للباحث هادى روجيه إدريس فى مجلة الأندلس :

H. R. Idris: *Les zirides d'Espagne*, «Al-Andalus», vol. XXIX, 1964, pp. 39-145.

(٣) لهذا الخبر الجديد تماماً قيمة كبيرة فى تصويره مظهراً من مظاهر سلوك هؤلاء المقاتلين المحترفين من البربر وأنفتهم من الفرار ، كما أن فيه تصويراً المنافسة الشديدة بين الصنهاجيين والزناتيين من طوائف البربر .

لما انْحَزْنا عن الفرنجة يوم الهزيمة بِعَقَبَةِ البَقَر [١] — وقتل فيها نحو عشرة آلاف — انتهيت إلى مضيق وعر من قرطبة إلى الزهراء عليه قَنْطَرَةٌ صغيرة لا يعبرها إلا الفارسُ بعد الفارسِ ، فأجد عليها أربعة من الفرسان من أبطال البرابر : اثنَيْن مِنَّا ، وهما حُبَاسَةُ أخى [٢] وحُبَاسَةُ بن حَمَامَةَ ابْنُ عَمِّى [٣] ، واثنين من زناتة : حَمّو بن يَصْلَتَنْ ، وإبرهيم بن فُلْفُل ، وكلاهما من البرازلة [٤] ، وهم وقوفٌ دونها لا يعبرها أحد منهم ، وبينهم منازَعَةٌ

---

(١) «عقبة البقر» (بالاسبانية El Vacar) حصن يقع على بعد ٢٠ كيلومتراً إلى الشمال من قرطبة ، على الطريق المتجه إلى طليطلة ، وإلى جوار هذا الحصن وقعت تلك المعركة العنيفة التى يتحدث عنها حبوس بن ماكسن فى أول الخبر والتى دارت فى ٥ شوال سنة ٤٠٠ (٢٢ مايو ١٠١٠) بين جيش سليمان بن الحكم المستعين وأنصاره من البرابر الصنهاجيين (ومن بينهم زاوى بن زيرى وابنا أخويه حبوس وحباسة ابنا ماكسن) ومحمد بن هشام المهدى الذى كان جيش من الافرنج (من أهل قطلونية) يعده ويناصره . وقد كان النصر حليف البربر فى البدء فقتل كثيرون من أنصار المهدى وواحد من قادة جيش الافرنج وهو أرمنقود Ermengaud البرشلونى ، ولكن سليمان المستعين هرب من المعركة ودبت الفوضى فى صفوف البربر فانهزموا بعد أن قتل منهم خصومهم مقتلة شديدة (عن هذه المعركة انظر ليفى بروفنسال : تاريخ ٢/٣١٣ والمراجع الواردة هناك . وانظر كذلك ديوان ابن دراج القسطلى ، بتحقيقنا ، ص ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٤ بمناسبة حديث ابن دراج عن هذه الوقعة فى مواضع من شعره) .

(٢) حباسة بن ماكسن الصنهاجى أخو حبوس راوى الخبر ، كان من أبطال فرسان البربر وأكثرهم إيقاعاً بأهل قرطبة فى أحداث الفتنة البربرية ، وكانوا يهابونه هيبة شديدة . وقد حدث فى أعقاب إحدى وقائع الفتنة أن تكاثر عليه أهل قرطبة فقتلوه ومثلوا به مثــلة شديدة فى آخر ذى حجة سنة ٤٠٢ (آخر يوليه ١٠١٢) ، وأوقع أخوه حبوس بعد ذلك انتقــاماً رهيباً بقاتله وبأهل قرطبة عامة . انظر ابن عذارى : البيان المغرب (راجع الفهرس) وابن الخطيب : الاحاطة ، نشر عنان ١/٤٩٤ — ٤٩٥ . (وانظر فى مقتله بصفة خاصة البيان المغرب ٣/١١١ والاحاطة ، الموضع السابق وكذلك ٣١٢ — ٣١٣ وليفى بروفنسال : تاريخ ٢/٣١٩؛ وروجيه ادريس ص ١٢ — ١٣ من الفصلة) .

(٣) لم توافنا المراجع بشىء عن حباسة بن حمامة المذكور .

(٤) لسنا نعرف شيئاً كذلك عن هذين الفارسين . وقوله من « البرازلة » يعنى من بنى برزال ، وهم من بطون زناتة خصوم صنهاجة التقليديين ، ويرجع جوازهم إلى الأندلس إلى أيام الحكم المستنصر فى سنة ٣٦٦ (٩٧٦) ، على أنه حينما اضطرمت نار الفتنة اضطروا إلى محالفة خصومهم الصنهاجيين إزاء كراهية الأندلسيين للبربر أيام الحروب الأهلية الدائرة فى الأندلس . وقد اقتطعوا بعد ذلك أجزاء من الأندلس أقاموا فيها دويلات صغيرة كان أهمها إمارتهم فى قرمونة Carmona . انظر
H. R. Idris: *Les Birzalides de Carmona*, «Al-Andalus», vol. XXX, 1965, pp. 49-62.

قطعوها لما جئتُهم . فسألتهم عما أوقفهم . فقال لى أخى[١] حُباسة : إن هذين يريداننا على التقدم على العبور كيما يَعِيبانِنَا به غداً فى قُبْح الهزيمة ، فنأبى عليهما ويَأْبَيَان من تَقَدُّمِنا لمثل ذلك الحديث ، فلسنا ببارحين أو تلحقنا الخيل فيُعْلَمَ أيُّنا أجْزَعُ . فعجبت من توقيهما حديث غد على مثلها[٢] من عظيمة وقبح هزيمة . فقلت للزِّناتِيَّيْن : أَيُقْنِعُكُمَا أن أتقدمكم جميعاً فتعبرون خلفى دون منازعة ونتخلص من هذه الورطة ، [160] وتَعْصِبُونَ بى هذه الوَصْمَةَ ؟ فقالا : هى حَسْبُنَا منك ! فَعَبَرْتُ ، وعبر الزناتيان[٣] خلفى ، وعبر خلفهما صاحباى ، وسرنا بحال سلامة .

الزهرة الحادية والثمانون :

لما جاز إلى الأندلس[٤] زاوى بن زيرى بن مَنَاد[٥] الصِّنْهَاجِيُّ فى مدة المُظَفَّرِ عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر ، وكان أبوه المنصور قد التوى فى

---

(١) فى الأصل ب : يا أخى .

(٢) « على مثلها » لم ترد إلا فى ا .

(٣) فى ا : الزناتيين ، وفى ب : الزناتى ، وكلاهما خطأ .

(٤) ورد مثل هذا الخبر وبقريب من هذه الألفاظ فى الذخيرة لابن بسام ، القسم الرابع ١/٦١ — ٦٢ (نقلا عن ابن حيان) .

(٥) زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى : كان أبوه أمير المغرب الأوسط تابعا للخلافة الفاطمية ، فلما فتح المعز لدين الله الفاطمى مصر وانتقـل إليها استخلف ابنه يوسف بلقين (أخا زاوى) على افريقية وما وراءها من بلاد المغرب ، فلما توفى يوسف سنة ٣٧٢ (٩٨٢) خلفه ابنه المنصور ، فاشتبك مع أعمامه فى حروب انهزموا فيها عنه ، وكان من بينهم زاوى المذكور ، وحينئذ كاتب المنصور بن أبى عامر صاحب الأندلس لكى يلحق به ، فالتوى بالاذن له — كما يذكر النص — حذراً منه إلى أن توفى المنصور العامرى فى سنة ٣٩٢ (١٠٠٢) وخلفه ابنه عبد الملك المظفر ، وحينئذ أذن له بالجواز إلى الأندلس هو وطائفة من قومه منهم ابنا أخيه حبوس وحباسة ابنا ماكسن اللذان أشرنا إليهما . وكان ذلك على الأرجح فى سنة ٣٩٣ (١٠٠٣) وظل زاوى رفيع المكانة فى الأندلس إلى أن نشبت الفتنة فخاض غمارها على ما ذكرنا ، والتف به الصنهاجيون قومه فولوه زعامتهم واختط بغرناطة فوطد بها ملكه ، حتى بدا له لهول ما عاينه من الحروب وما تبينه من كراهة الأندلسيين له ولقومه أن يعود إلى موطنه فى افريقية وذلك فى سنة ٤١٠ (١٠١٩ — ١٠٢٠) ، فوصل إلى القيروان =

الإذن له فى الدخول إلى الأندلس حذراً من دَهْيِه ومَكْرِهِ وبعد صيته بالعدوة ، فأَضْرَبَ عبد الملك عن ذلك وطلب السُّمْعَةَ باستخدام مثله ، فأَدْخَلَهُ بِمَنْ معه من إخوته وهم من سَعَةِ النعمة وبعد الهمم واستصغار الرغائب فيما يكون عليه أشباههم من أبناء الملوك(١) ، فبالغ عبد الملك فى رفعه منزلته ، وولاَّهُ الوزارةَ أَرْفَعَ خطط أصحاب(٢) السلطان بالأندلس ، ووصل إليه الرسول بالصَّكِّ فى ذلك ، وتوقف لعله أن يَصِلَهُ عليه . فقال له : [١٠ ب] يا هذا ، لو جِئْتَنَا بمال لأسهمناك ، وإنما أتيتنا بقرطاس هو لَكَ إن شئت ، وكل امرئٍ وما خُلِقَ له ، وإنما خُطَّتُنَا الإمارة لا الوزارة ، وأقلامنا الرماحُ ، وصحائفُنا الأجسادُ .

الزهرة الثانية والثمانون :

عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس كان يقال له « صَقْرُ قَرَيْش(٣) » ، وذلك أن الخليفة أبا جعفر المنصور قال لأصحابه وهو ببغداد : أخبرونى عن صقر قريش ، من هو ؟ ، قالوا : أمير المؤمنين الذى راضَ الملكَ ، وسَكَّنَ الزِّلْزَالَ ، وحسم الأدواءَ ، وأباد الأعداء . قال : ما صنعتُمْ شيئاً . قالوا : فمعاوية بن أبى سفيان . قال : ولا هذا . قالوا : فعبد الملك بن مروان .

= واستقر فى كنف حفيد أخيه المعز بن تميم بن يوسف بلقين ، غير أن وزراء المعز لم يلبثوا أن دسوا له السم بعد قليل من مقدمه ، عن زاوى بن زيرى انظر بحث روجيه إدريس الذى أشرنا إليه ص ١ — ٢٠ من الفصلة وما أورده من مراجع .

(١) ينبه ابن الخطيب إلى احتقار زاوى وأصحابه الصنهاجيين لمظاهر الاكرام التى أسبغت عليهم فى الأندلس ، فيقول : « فأنزلهم المظفر وأكرمهم إلا أنهم كابدوا مشقة من دهرهم الذى أصارهم يخدمون بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم » (الاحاطة ، نشر عنان ص ٤٤٠) .

(٢) « أصحاب » لم ترد إلا فى ا .

(٣) تلقيب أبى جعفر المنصور لعبد الرحمن بن معاوية بصقر قريش أمر مشهور ذائع ، وأول المصادر التى ذكرته كتاب « أخبار مجموعة » ص ١١٨ — ١١٩ وابن عبد ربه فى العقد الفريد ٤٨٨/٤ ؛ ثم يكرر التالون ذلك الخبر : ابن الأبار : الحلة السيراء ٣٥/١ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ٥٩/٢ — ٦٠ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الأندلسى ص ٩ ؛ المقرى : نفح الطيب ٣٣٢/١ .

قال : ولا هذا . قالوا : فَمَنْ يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية [161] الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلداً أعجميًّا مفرداً ، فمصَّر الأمصار ، وجنَّد الأجناد ، ودوَّن الدواوين ، وأقام ملكاً بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره ، وشدة شكيمته .

الزهرة الثالثة والثمانون :

الأمور التى كانت تَحَارُ فيها خلفاء بنى أمية بالأندلس لا يُنْفِذُونها إلا عن مُشاوَرَةِ ثلاثة من الناس ، وهم : قائدُ الجُنْدِ بِسَرَقُسْطَة قاعدةِ الثَّغْرِ الأعْلى (١) لعظم ذلك الموضع وكَوْنه الثَّغْرَ ومَحَلَّ الدِّفاع عن الأندلس ، فلم يكونوا يُقَدِّمُونَ له إلا من اشتهرت نجدته وغناؤه ، وكان فيه انْتِهاضٌ بما حُمِّل من ذلك الوَظِيفِ (٢) ؛ والقاضى بقرطبة حضرة الخلافة وموضع توفُّرِ

---

(١) كان المسلمون فى الأندلس منذ أن استقرت دولتهم فى ظل بنى أمية قد اهتموا بتحصين خطوطهم الدفاعية فى المناطق المتاخمة لجيرانهم النصارى فقسموها إلى قسمين رئيسيين : ما يسمى بالثغر الأدنى الممتد من طليطلة فى وسط الأندلس إلى ماردة ثم ما يليها غرباً حتى المحيط الأطلسى ، والثغر الأعلى فى المنطقة الشمالية حتى جبال البرتات (البيرينيه) وكانت سرقسطة قاعدة هذا الثغر ، ثم أضافوا بعد ذلك منطقة عسكرية ثالثة هى الثغر الأوسط فى منتصف الطريق بين طليطلة وسرقسطة وكان مركزه مدينة سالم ، وقد برزت أهمية « الثغر الأعلى » وضرورة تحصينه منذ أن تعرض لحملة شارلمان Charlemagne ملك الفرنجة (فرنسا) فى أيام عبد الرحمن الداخل سنة ١٦٢ (٧٧٨) وهى الحملة التى منيت بالفشل فى رونسفو Roncevaux (بالاسبانية Roncesvalles) وظل بنو أمية منذ ذلك التاريخ يولون منطقة الثغر الأعلى اهتمامهم حتى نهاية دولتهم . عن الثغر الأعلى ومكانته انظر ليفى بروفنسال : تاريخ اسبانيا الاسلامية ٣/٥٥ وما بعدها ، وكذلك نفس المؤلف : دور الثغر الأعلى فى التاريخ السياسى للاندلس فى ظل خلافة بنى أمية ، فى مجلة معهد الدراسات الخاصة بجبال البيرينيه بسرقسطة : Lévi-Prevençal: *Le rôle de la Marche Supérieure dans l'histoire politique de l'Espagne califienne*, «Revista Pirineos», Zaragoza, núms. 15, 16, 1950, pp. 35-52.

وانظر كذلك الجزء الخاص بالثغر الأعلى من جغرافية العذرى ، بتحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، نشر معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة ١٩٦٥ ص ٢١ — ٧٣ ؛ والترجمة الاسبانية لهذا النص الجليل بما فيها من تحقيقات ممتازة للمستشرق الاسبانى فرناندو دى لاجرانخا بعنوان « الثغر الأعلى فى كتاب العذرى » .

Fernando de la Granja: *La Marca Superior en la obra de al-'Udrī*, Zaragoza, 1966.

(٢) فى الأصلين : الوضيف .

العلماء ، لما كان يُحْتَاجُ فيمن يتقدَّمُ لقضائها من استجماع شروط الكمال وكريم الخلال ورسوخ القدم فى العلم والدين[١] والحكمة[٢] ؛ وقائدُ الأسْطولِ بالمَرِيَّةِ[٣] لأنها كانت دارَ صَنْعَةِ الإنشاءِ بالأندلس ، ولتوسُّطِها فى بلادهم ، فكان فى مُدَّةِ بنى أمية قائدُ أُسْطولِها[٤] قسيمَ الخليفةِ فى ملكه : ذاك مِلكُ البرِّ ، وهذا ملكُ البحرِ .

الزهرة الرابعة والثمانون :

كان أهــل الأندلس[٥] من حين استفتاحها إلى مدة الخليفة الحكم بن

---

(١) هذه الكلمة ناقصة فى ب .

(٢) يشهد بصحة ما ذكر المؤلف هنا عن مركز قضاء الجماعة بقرطبة قول ابن سعيد (حسبما ينقل عنه المقرى : نفح ١/٢١٧ — ٢١٨) : «وأما خطة القضاء بالأندلس فهى أعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأمور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدى القاضى . هذا وضعها فى زمان بنى أمية » . وحول هذه الخطة انظر تقديم خوليان ريبيرا لترجمته الاسبانية لكتاب القضاة (مدريد ١٩١٤) ، وليفى بروفنسال : تاريخ ٣/١١٧ وما بعدها ، وكذلك ص ١٣٦وما بعدها .

(٣) مدينة المرية Almería مدينة محدثة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤ (٩٥٥ — ٩٥٦) وبنى لها سوراً منيعا من الصخر واتخذ الناس فيها محارس وأربطة ثم بنيت فيها دار صناعة وما زالت حتى أصبحت أهم مركز عسكرى وتجارى على ساحل الأندلس الجنوبى . انظر ابن عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٣ — ١٨٤ ؛ العذرى : جغرافية ص ٨٢ — ٨٦ ؛ وانظر كذلك عن اتخاذها قاعدة للاساطيل الأندلسية ليفى بروفنسال : تاريخ ٣/١٣٦ ؛ وانظر كذلك الدكتور أحمد مختار العبــادى والدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت ١٩٦٩ ص ١٧٨ وما بعدها ، وقد انتفع المؤلفان بهذا النص نفسه (ص ١٧٩ — ١٨٠) معتمدين فى إيراد مضمونه على ليفى بروفنسال : إسبانيا الاسلامية فى القرن العاشر ص ٨٥ — ٨٦ .

(٤) فى ب : أصطولها ، بالصاد .

(٥) ما يورده المؤلف هنا حول تحول الأندلسيين عن مذهب الأوزاعى إلى مذهب الامام مالك ابن أنس وانتشار المذهب المالكى بفضل السلطان فى الأندلس أمر شائع كثير التداول فى كتب التاريخ والفقه ، ولو أنها تختلف حول الأمير الأندلسى الذى انتشرت المالكية برأيه واختياره ، فهى مرة تذكر عبد الرحمن الداخــل ومرة ابنه هشاما ومرة ثالثة الحكم بن هشام — كما نرى فى هذا النص — والحقيقة هى أنه لا صحة لذلك ، بل كان انتشار المذهب المالكى لأسباب أخرى توسعنــا فى شرح ظروفها فى دراستنا عن « التيارات الثقافية المشرقية وأثرها فى تكون ثقافة الأندلس » .

M. A. Makki: *Ensayo sobre las aportaciones orientales en la España Musulmana*, páginas 90-94.

وانظر المراجع المستخدمة فى كتابة ذلك الفصل .

هشام على رأى الأَوْزَاعِيِّ (١) ومذهبه ، أقاموا على ذلك مُدَّةً من مائة سنة وعشر سنين ، ثم تحولوا عن ذلك إلى رأى مالك بن أنس ومذهب أهل المدينة ، فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة [١١ ا] وغَمَرَ بلاد الأندلس ، وذلك برأى الحَكَمِ واختياره ، وكان السبب فى ذلك أنه كان قد رَحَلَ فى مُدَّتِهِ ومدة أبيه إلى المشرق جِلَّةٌ من الفقهاء للحج وطلب العلم منهم زياد بن عبد [162] الرحمن اللخْمِىُّ المعروف بِشَبْطُونَ (٢) ويحيى بن مُضَرَ القيسِىُّ (٣) وعيسى بن دينار (٤) وغيرهم ، فسمعوا مالكاً وأخذوا عنه وعادوا إلى الأندلس ، فوصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره وإمامته لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وانحراف الناس إلى رأيه ، فانتشر رأى مالك من حينئذٍ بالأندلس ، ومالَ أهلُها عن رأى الأوزاعى بالكلية .

---

(١) الامام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى (ولد فى بعلبك سنة ٨٨ / ٧٠٧ وتوفى فى بيروت سنة ١٥٧/٧٧٤) . (انظر فى ترجمته وكتبه دائرة المعارف الاسلامية ١/٥٤٥ (بقلم فنسنك) ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب العربى (الترجمة العربية : د. عبد الحليم النجار) ٣/٣٠٧ — ٣٠٨) وحول انتشار مذهبه فى الأندلس قبل غلبة المالكية على تلك البلاد انظر دراستنا المشار إليها فى الحاشية السابقة ص ٦٤ — ٦٧

(٢) زياد بن عبد الرحمن اللخمى « شبطون » تلميذ الامام مالك وأول من أدخل موطأه إلى الأندلس وكان أستاذ يحيى بن يحيى الليثى وموجهه للاخذ عن مالك . توفى سنة ٢٠٤ (٨١٩—٨٢٠) . انظر فى ترجمة بحثنا عن « التيارات الثقافية المشرقية » ص ٦٢ — ٦٣ ، ٦٥ — ٦٦ وكذلك تعليقنا رقم ٢٢٦ ص ٤٩٥ على نص كتاب « المقتبس » لابن حيان بتحقيقنا (ط. بيروت) .

(٣) ترجم شهرة يحيى بن مضر القيسى فى كتب التاريخ الأندلسى إلى سببين : الأول هو ما يذكر من أن الامام مالك بن أنس استفاد منه شيئا حول تفسير آية قرآنية والثانى هو أنه كان ممن استشهدوا فى ثورة الربض الأولى سنة ١٨٩ (٨٠٤) وأمر الحكم الربضى بصلبه ، وعن ذلك من أول مثالب الحكم . ومع ذلك فإن دوره الحقيقى فى نشر المالكية كان متواضعاً جدا . انظر ابن القوطية تاريخ ص ٥١ ؛ ابن الفرضى ، رقم ١٥٥١ ؛ الحميدى ، رقم ٩٠٢ ؛ الخشنى : القضاة ص ٦٤ ؛ ابن عذارى : البيان ٢/٧١ ؛ المقرى : نفح ١/٣٤٤ ، ٢/٩ ؛ ليفى بروفنسال : تاريخ ١/١٤٨ وكتابنا عن التيارات الثقافية » ص ٩٧ .

(٤) صحبة عيسى بن دينار (ت ٢١٢/٨٢٨) للامام مالك خطأ شائع تناقله كثير من المؤرخين الأندلسيين وغيرهم ، القدماء والمحدثين ، والصحيح أنه لم يلحق الامام مالكا ، وإنما نفقه على تلميذه المصرى عبد الرحمن بن القاسم . انظر حوله كتابنا عن « التيارات الثقافية » ص ٩٧ ، ١٣٥ — ١٣٦ ، وكذلك تعليقنا على نص ابن حيان : المقتبس رقم ٢٠٣ ص ٤٨٨ .

الزهرة الخامسة والثمانون :

كان أهل الأندلس منذ فتحها العرب إلى مدة الخليفة عبد الرحمن بن الحكم دُونَ سِكَّةٍ[١] ، إنما كانوا يتعاملون بما يُجْلَبُ إليهم من دراهم أهل المشرق ودنانيرهم ، فكان المال قليلا لديهم عديما عندهم ، ومُعَوَّلُهُمْ على أثمانِ غَلَّةِ أرضِهِمْ من القمح والشعير والكَتَّانِ والزيت والحرير وسائر الحبوبَ إلى غلات معادنها وما أشبهها من فوائدها ، يحمله أهلُ العُدْوَةِ عنهم فى البحر أيام المَصِيفِ ، فيأخذون به من عَيْنِهِمْ ما يتجاوزونه فى متاجرهم وبُيُوعاتهم . أقاموا على ذلك مدة من مائة سنة وخمس وعشرين سنة إلى أن سبق هذا الخليفة عبد الرحمن إلى ضرب الدنانير والدراهم ، فاتُّخِذَتْ بقرطبة السكة ، وقام

---

(١) هذا الخبر يتفق مع ما يذكره ابن سعيد فى كتاب « المغرب فى حلى المغرب » (٤٦/١) إذ يقول فى ترجمة عبد الرحمن بن الحكم نقلا عن الرازى إنه « أحدث بقرطبة دار السكة وضرب الدراهم باسمه ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب » . ولكننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نقبل هذا الرأى ، إذ كيف يمكن أن نصدق أن أهل الأندلس ظلوا يعتمدون على تلك الدنانير والدراهم المشرقية التى كان يأتى بها إليهم أهل العدوة مائة وخمسا وعشرين سنة ؟ وكيف رضيت بهذا الوضع دولة مستقرة قوية مثل بنى أمية فى الأندلس كانت أولى أمصار الاسلام في نيلهـا استقلالها السياسى والاقتصادى عن المشرق ؟ مع أن السكة وضرب النقود كانا دائما من أول مظاهر الاستقلال والاستغناء ! . . . وفيما يتعلق بضرب النقود فى المشرق يذكر أبو الحسن على بن يوسف الحكيم فى كتابه « الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة » (بتحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مدريد ١٩٦٠ ص ٤٧) أن أول من ضرب الدينار والدرهم فى الاسلام هو عبد الملك بن مروان ، وقد علق الدكتور مؤنس على ذلك بأنه خطأ وأن النقود الاسلامية أقدم من هذا الخليفة الأموى بكثير . وأما فى الأندلس فإننا نرد كذلك هذا التاريخ الذى يحدده المؤلف هنا لبداية ضرب النقود واتخاذ السكة (وهو سنة ٨٣٢/٢١٧ وهو معنى قوله : بعد فتح الأندلس بمائة وخمس وعشرين سنة) . والذى نعرفه أن ضرب النقود بدأ فى الأندلس بعد فتحها بما لا يزيد على خمس سنوات ، فأول عملة نعرفها هى التى ضربها موسى بن نصير فاتح الأندلس فى طليطلة سنة ٧١٧/٩٨ وكانت دنانير ذهبية نقشت بالعربية واللاتينية ، إذ كان على وجهها كتابة « محمد رسول الله » تحيط بها عبارة الشهادة مترجمة إلى اللاتينية وعلى ظهرها نجمة مثمنة كتب عليها باللاتينية « ضرب فى إسبانيا » (انظر ليفى بروفنسال : تاريخ ٢٦/١ — ٢٧ ؛ الدكتور حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ١٠٠ — ١٠١) . ولم يكن هذا شيئاً جديداً إذ أن موسى بن نصير كان قد ضرب من قبل عملة فى افريقية سنة ٩٣ (٧١٢) كانت أيضاً لاتينية عربية . وانظر مناقشة ليفى بروفنسال لهذه القضية فى تاريخه ٤١/٣ — ٤٤

ضربها منقوشةً باسمه مُقَرَّرَةً [١] على عياره ، إلا أنها لم تكثر فى مدته ، ولا غلبت على دراهم أهل العدوة . وكان المشير عليه باتخاذ السكة والمثيرُ لذكرها والهادى إلى منفعتها حارِثَ بن أبى الشِّبْل [٢] .

الزهرة السادسة والثمانون :

ذُكِرَ أن أبا القاسم عباسَ بنَ فِرْنَاسَ [٣] — وكان عالمًا مُتَفَنِّنًا وفيلسوفًا حاذقًا وشاعراً مُفْلِقًا وكاتبًا بليغًا ومُنَجِّمًا مُحَقِّقًا جيد الاختراع كثير [163] الإبداع — احتال بقرطبة فى تطيير جُثْمَانِه ، فكسا نفسه الريش ومد لنفسه جناحَيْنِ على وزنٍ معلوم وتقديرٍ قَدَّرَه ، فتهيأ له أن استطار فى الجو من ناحية [٤] الرُّصَافَةِ وهى على ستة أميال من قرطبة ، واسْتَعْلَى فى الهواء فحَلَّق فيه حتى وقع من مكان مطاره على مسافة بعيدة ، وساء على ذلك موقعه ، [١١ ب] لما تأذَّى من عَجْبِ ذَنَبِه ، إذ لم يحسن الاحتيالَ فى وقوعه ولم يقدِّرْ أن الطائر إنما يَقَعُ على زِمِكَّاهُ ، فَلَهَا عن ذلك [٥] . وقد كان أفزع من

---

(١) فى ب : معزرة .

(٢) عن حارث بن أبى الشبل متولى دار السكة أيام عبد الرحمن بن الحكم انظر ليفى بروفنسال : تاريخ ١/٢٥٧ . وكذلك نفس المؤلف : اسبانيا الاسلامية فى القرن العاشر ص ٧٥ ، حاشية ٢ .

(٣) أبو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكرنى (ت ٢٧٤/٨٨٧) انظر فى ترجمته وأخباره المقال الجيد الذى كتبه عنه الأستاذ إلياس تيريس سادابا فى مجلة الأندلس :

Elías Terés Sádaba: *'Abbās b. Firnās,* «Al-Andalus», vol. XXV, 1960, pp. 239-249.

وفى هذا المقال قائمة مستوفاة بالمصادر ، على أن هناك أخباراً كثيرة عنه فى المقتبس (بتحقيقنا ، ط. بيروت) وكثير منها جديد لم يكن يعرف من قبل . انظر ص ١٢٤ ، ٢٧٩ — ٢٨٧ والحاشية رقم ٢٧٩ ص ٥١١ وما ورد فيها من مصادر .

(٤) فى ب : نحو .

(٥) خبر تطيير عباس بن فرناس لنفسه ذائع تداولته الكتب ، انظر المقرى : نفح ٣/٣٧٤ ، ابن سعيد : المغرب ١/٣٣٣

عاين مَطارَه من أهل قرطبة ، فكثر تحدثهم عما عاينوه منه ولا يعلمون شأنه[١] .

الزهرة السابعة والثمانون :

قال المأمون لبعض ولده وقد سمعه يلحن فى كلامه : ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أَوَدَه ، ويزين مَشْهَدَه ، ويَفُلَّ حُجَجَ خَصْمِه ، ويُصَحِّحَ كتابَ حُكْمِه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ؟ أيسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته فلا يزال الدهرَ أسيرَ كَلِمَتِه ؟ .

الزهوة الثامنة والثمانون :

كتب الكاتب البليغ أبو عبد الله بن عبد العزيز بن عَيَّاشٍ التُّجِيبِيّ البُرْشَانِيّ[٢] كتاباً عن الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فى شأن يهودى ، فقال فيه « يحمل على البر والكرامة » فقال له الخليفةُ يعقوبُ

---

(١) من مظاهر تحدث الناس عن ذلك بيت قاله معاصر عباس : مؤمن بن سعيد القيسى القرطبي :

يطم على العنقاء فى طيرانها   إذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

(انظر نفح الطيب والمغرب فى الموضعين المذكورين فى الحاشية السابقة) . وقد تحدث إلياس تيريس أيضاً عن صدى هذه المحاولة فى الأدب الاسبانى . انظر مقاله « حول مطار عباس بن فرناس » فى مجلة الأندلس :

Elías Terés Sádaba: *Sobre el «vuelo» de ʿAbbās ibn Firnās*, «Al-Andalus», vol. XXIV, 1964, pp. 365-369.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبى (والبرشانى نسبة إلى برشانة Purchena من عمل المرية) . ولد سنة ٥٥٠ (١١٥٥) أخذ عن السهيلى ونبغ فى الكتابة . استكتبه يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن سلطان الموحدين سنة ٥٨٦ (١١٩٠) وتوفى بمراكش سنة ٦١٨ (١٢٢١) . انظر فى ترجمته ابن الأبار : التكملة رقم ٩٥٢ ، ١/٣٢٠ — ٣٢١ (ط. كوديرا) رقم ١٥٩٦ — ٢/٦٠٥ (ط. عزت العطار) ؛ إعتاب الكتاب رقم ٧٣ ص ٢٣٠ — ٢٣٥ ؛ وعبد الواحد المراكشى : المعجب ، ط. محمد سعيد العريان ص ١٩٠ — ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٣٨ — ٢٣٩ ؛ صفوان بن إدريس : زاد المسافر ص ٩٤ ؛ ابن سعيد المغرب ٢/٨١ — ٨٢ ؛ ابن الخطيب : الاحاطة ٢/٤٨٢ — ٤٨٧ وهناك رسائل بقلمه فى « مجموع رسائل موحدية » أرقام ٣٥ — ٣٧ .

المنصورُ : من أين يجوز لك هذا ؟ تقول فى كافر « يحمل على البر والكرامة » ؟ قال : ففكرت ساعة وعلمت أن الانفصال عنه يلزمنى ، فقلت : يا مولانا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وهو عامٌّ فى الكافر وغيره . قال : نعم ، هذه الكرامة ، فالمبَرَّةُ من أين أخذتها ؟ فَسَكَتُّ ولم أجدْ جواباً . قال : فقرأ المنصور أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، [164] « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يُخْرِجُوكم من ديارِكُمْ أن تبرُّوهُمْ . . . الآية (١) » . قال : فسررت بذلك وشكرته (٢) .

الزهرة التاسعة والثمانون :

دخل أبو دُلاَمَةَ (٣) على المهدى فأنشده أبياتاً أُعْجِبَ بها ، فقال له : سل يا أبا دلامة واحتَكِمْ وأفرِطْ ما شِئْتَ ! قال : كلبٌ يا أمير المؤمنين أصطاد به . قال : قد أمرنا لك بكلب ، وها هُنا بَلَغَتْ هِمَّتُكَ ، وإلى هنا انتهت أُمْنِيَّتُكَ ؟ قال : لا تعجل على يا أمير المؤمنين ، فإنه بقى على . قال وما بقى عليك ؟ قال : غلامٌ يقودُ الكلبَ . قال : قد أمرنا لك بغلام . قال : وخادمٌ تطبخ لنا الصيد . قال : وخادم تطبخ لك الصيد . قال : ودارٌ

(١) القرآن الكريم ، سورة الممتحنة ، آية ٨ .

(٢) ورد هذا الخبر فى ترجمة ابن عياش فى الإحاطة (٢/٤٨٤ — ٤٨٥) وقد نقله ابن الخطيب عن ابن خميس الذى يسند روايته لخاله ابى عبد الله بن عسكر (صاحب تاريخ مالقة) .

(٣) أبو دلامة زند بن الجون الكوفى مولى بنى أسد ، أدرك آخر زمن بنى أمية واتصل بأبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور ، وكانوا يستطيبون مجالسته لفكاهته ونوادره . انظر فى ترجمته ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٥٤ — ٦٢ وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٧٧٦ وتاريخ بغداد ٨/٤٨٨ ؛ أبو الفرج الإصفهانى : الأغانى ١٠/٢٣٥ وما بعدها . وذكره كثير فى كتب الأدب .

هذا وقد وردت القصة المثبتة هنا فى الأغانى ١٠/٢٣٦ — ٢٣٧ وفى الشعر والشعراء ص ٧٧٦ وفى نهاية الأرب للنويرى ٤/٣٧ — ٣٨ . على أن النويرى جعلها مع السفاح أو المنصور لا المهدى ، وهو شىء نستبعده إذ كان هذان الخليفتان أكثر جداً من ذلك .

نسكُنها . قـال : ودار تسكنها . قال : وجارية آوى إليها . قال : وجارية تأوى إليها . قال : بقى الآن المعـاشُ . قال : قد أقطعناك [1] ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة . قال : وما الغامِرة ؟ قال التى لا تُعْمَرُ . قال : أنـا أُقْطِع أمير المؤمنين خمسين ألفاً فى فيافى [١٢ ا] بنى أسد . قال : قد جعلناها لك عامرةً كُلَّها . فقبَّل يَدَهُ وانصرف .

الزهرة التسعون :

قال سَلَمَةُ بنُ سَعيد [2] : كنا عند مُعَاوِيةَ بن أبى سفيان ، فقال : ودِدْتُ لو أنّ عندنا من يُحَدِّثُنا عمَّا مَضَى من الزمان هل يشبه ما نحن فيه أم لا ؟ قيل [3] له : بِحَضْرَمَوْتَ رجل قد أتت عليه ثلاثمائة سنة . فأرسل إليه معاوية فأُتى به ، فلما دخل عليه أَجَلَّهُ ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال له : أَمَدُ [4] بن أَبد . فقال له : كم أتى عليك من السنين ؟ قال ثلاثمـائة

---

(١) فى ب : أقطعنا لك .

(٢) هذا الخبر نموذج لكثير من الأخبار المشابهة التى ترد فى روايات القصاص والأخبـاريين حول بعض المعمرين ، وهى أخبار بينة الوضع والصنعة ، ويتضح هذا حتى فى أسمـاء من تنسب إليهم تلك الأخبار ، مثل اسم « امد بن أبد » المذكور فى هذه الزهرة . على أن لهذه الأخبار قيمة فى بيان تصور أولئك القصاص والأخباريين لأحوال ما مضى من الزمان . والطريف أن معظم أولئك « المعمرين » الأسطوريين من أهل اليمن ، وأن كثيراً من أخبارهم مرتبط بذكر الخليفة الأول معـاوية بن أبى سفيان . أما الخبر الوارد هنا فقد رأينا ما يشبهه فى كتاب « المعمرين » لأبى حاتم السجستانى (المنشور مع كتاب الوصايا لأبى حاتم أيضاً ، بتحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١) . فى هذا الكتاب خبران أحدهما عن معمر من جرهم (ذكر فى حاشية الأصل المخطوط أنه عبيد بن شرية الجرهمى) ومحاورة له مع معـاوية بن أبى سفيان (ص ١٠ — ١١) ثم قصة أخرى تروى عن عبيد بن شرية أيضاً ومحاورة أخرى له مع معاوية (٥٠ — ٥٢) ، وفى هاتين المحاورتين تفاصيل تتفق مع ما نسب هنا لأمد بن أبد ، وإن كانت الروايتان هناك تختلفان عما نجده هنا فى تفاصيل أخرى . وعن أمثال هذه القصص الأسطورية لتاريخ اليمن القديم انظر دراسة فرانز روزنتال عن « علم التاريخ عند المسلمين » ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى ، بغداد ١٩٦٣ ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٣) فى ب : فقال .

(٤) فى ب : أسد ، والاسم كما ورد فى ا أوفق للسياق .

سنة . ثم قال له : حدثنا عما مضى من الزمان ، هل يشبه ما نحن فيه اليوم ؟ فقال : نعم ، كأنه ما ترى : ليل يجىء من هاهنا ونهار يجىء من هاهنا (١) ويذهب [165] من هاهنا . قال : فأخبرنى عن أعجب ما رأيت . قال : رأيت الظَّعينةَ تخرج من بلاد الشام حتى تأتى مكَّةَ لا تحتاج إلى طعام ولا إلى شراب ، تأكل من الثمار وتشرب من العيون ، ثم هى الآن قَفْرٌ كما ترى (٢) . قال فأخبرنى عن خير المال . قال : عَيْنٌ خَرَّارةٌ ، فى تُرْبَةٍ خَوَّارَة . قال : ثم ماذا ؟ قال : فرس فى بطنها فرس تتبعها فرس . قال : فأين أنت عن الدينار والدرهم ؟ قال : حَجَرَانِ إن أخذت منهما نقصا وإن تركتَهُمَا لم يزيدا . قال : فأين أنت عن الغنم والإبل ؟ قال : ليسا مال مثلك ، إنما هو مال من شهدهما بنفسه . قال : فأين أنت عن الرقيق ؟ قال : غَبْنٌ مُسْتَفَادٌ ، وغَبْطٌ بالأَوْتَادِ (٣) . قال : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، تَرُدُّ علىَّ شبابى . قال : لا أقدر ! قال : فتُنَجِّينِى من النَّار وتُدْخِلُنى الجَنَّةَ . قال : لا أقدر . قال : فلا أرى عندك دنيا ولا آخرة ! رُدَّنِى إلى بلدى . فأمر به فَرُدَّ إلى بلده .

الزهرة الحادية والتسعون :

كان بُرْهَانُ الدين البَلْخِىُّ (٤) يُضْرَبُ بِهِ المثلُ فى العلم والزهد ، وكان قد اختار سكنى دِمَشق ويقول : أَتَذَكَّرُ بها جَنَّةَ الفِرْدَوْس فبينما هو يدرس

---

(١) « ونهار يجىء من هاهنا » لم ترد فى ب .

(٢) يبدو من هذا الحديث وأمثاله فى كتب الأدب العربى القديم أن العرب كانت لديهم ذكريات عن ماضى بلادهم القديم تصورها أقل جدبا وأكثر خضرة ومياهــا وزرعا مما عرفوها فى جاهليتهم المتأخرة ، وهو تصور تصدقه الأبحاث والمكتشفات الأثرية .

(٣) فى ا : كالأوتاد .

(٤) أبو الحسن على بن الحسن بن محمد بن جعفر أو أبى جعفر البلخى الواعظ الزاهد المشهور برهان الدين البلخى . تفقه ببخارى وبرع فى الفقه والحديث فى بــلاد ما وراء النهر ، ودرس بحلب ودمشق . وجعلت له دار الأمير طرخان بدمشق مدرسة سنة ٥٢٠ (١١٢٦) ، وهو أول من درس بها . وإليه تنسب المدرسة البلخية . وسفر بين نور الدين محمود بن زنكى هو وأسد الدين شيركوه =

يدرس بمدرسة المسجد الأعظم ويَعِظُ الناس إذ وصل إليه من أبلغه عن السلطانِ محمود بن زَنْكِى (١) ما لم يَحْمِلْهُ . فقال — والناس يسمعون — : ما بينى وبين ابن زنكى (١) إلا هذه السَّجَّادَة ! ورفع سَجَّادَتَهُ المُرَقَّعَةَ على كتفه واستوى خارجاً عن المدينة . قالوا : ولم يُخَلِّفْ وراءهُ ما يُتَشَوَّفُ إليه . فبلغ الخبر السلطان محموداً ، فعَظُمَ عليه ، فركب وسار حتى لحقه على أميال ، فَتَرَجَّلَ وجاء إليه بنفسه وقال : [ب ١٢] هكذا يكون يا برهان الدين ؟ فقال له برهان الدين : أتستقدِرُ عَلَيَّ بسلطانك ؟ فقال : لو كان ذلك ما خرجت لك فى هذه الحال ! وها أنا أرغَبُ إليك فى الرجوع ، فإن رجعت لى أحسنت (٢) ، وإن لم [166] ترجع لم أشْتَكِ منك إلا الجفاء ، ولا أعلم ذنباً أستحِقُّه به . فذكر له ما بلغه عنه . فأقسم أنه كَذِبٌ . فقال : أرجع إذن بشرط ألا يعاقب النَّاقِلُ . قال السلطان : بل بشرط ألاَّ يُعْرَفَ من هو . فتصالحا ورجعا راجِلَيْنِ حتى أدخلَهُ المدرسةَ ، وحينئذ ركب إلى قصره .

الزهرة الثانية والتسعون :

أوصى عبدُ الملك بن مروان بنيه ، فقال (٣) : يا بَنِيَّ إن شرف الدنيا فى ثلاث : الشجاعة ، والمال ، والعلم ، فلا يخلُوَنَّ أحدُكُمْ من أحدها ، ومن

= وبين مجير الدين صاحب دمشق وذلك حينما قام نور الدين بحصارها . وتوفى سنة ٥٤٨ (١١٥٣) . انظر فى ترجمته ابن أبى الوفاء القرشي : الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، ط . حيدراباد سنة ١٣٣٢ هـ . — ١ / ٣٥٩ — ٣٦٠ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٤ / ١٤٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠١ ؛ العماد الاصبهانى : خريدة القصر ، الجزء الأول من قسم شعراء الشام ، بتحقيق د. شكرى فيصل ١/ ٣٠٧ — ٣٠٩ وراجع الحاشية فى هذا الموضع .

(١) فى ب : زنكير . والسلطان نور الدين محمود بن زنكى توفى سنة ٥٦٩ (١١٧٤) . انظر عن حياته وأعماله الكتاب القيم الذى أفرده له الدكتور حسين مؤنس بعنوان « نور الدين محمود : سيرة مجاهد صادق » القاهرة ١٩٥٩ .

(٢) فى ب : « حسبت » .

(٣) هناك وصية لعبد الملك بن مروان لبنيه قريبة الشبه بما ورد هنا — وفيها أيضاً وصية للخليفة الاموى لبنيه بالحجاج الثقفى — فى كتاب الوصايا لابى حاتم السجستانى المنشور مع كتاب المعمرين له أيضاً ، بتحقيق الاستاذ عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١ (ص ١٦٠ — ١٦١) .

استطاع كمالها فقد انقادت له الدنيا بزمامها ، وأعطته قيادتها ، ومن خلا منهن فهو فى عدد البهائم التى لا تُذْكَرُ بخَصْلَةٍ ولا تُنْسَبُ إلى مَزِيّة ، أوصيكم بتقوى الله فإنها غنيمةٌ باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل ما قُدِّمَ فى المعاد ، وهو أحصن كهف ، وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميـل الأمور ، وإياكم والبغى والتحاسد ففيهما هَلَكَ الملوك الماضون ، وذوو العز المكون . يا بَنِيَّ ، أخوكم مَسْلَمَةُ نابكم الذى عنه تَفْتَرُّون ، ومَجِنُّكُمْ الذى به تستجِنُّون ، اصدروا عن رأيه ، وأكرموا الحجاج فإنه الذى وطَّأ لكم هذا الأمر . كونوا أولاداً أبراراً ، وفى الحرب أحراراً ، وللمعروف منارا ، والسلام .

الزهرة الثالثة والتسعون :

أوصى الخليفة الحكم بن هشام (١) بن عبد الرحمن بن معاوية ابنه لما فَوَّضَ الأمر إليه وولاه عهده (٢) فقال : يا بُنَيَّ ، طِبْ نفساً بما يصير إليك

---

(١) لابد أن الامير الحكم عهد بهذه الوصية حينما اشتد به المرض في أواخر سنة ٢٠٦ هـ . (أبريل ٨٢٢) . ويذكر ابن عذارى (بيان ٧٧/١) أن الامير الحكم عقد البيعة يوم الاربعاء ١١ من ذى الحجة أى ثانى يوم عيد الاضحى (٧ مايو ٨٢٢) لابنه عبد الرحمن ثم من بعده لابنه الآخر المغيرة ، وذلك بعد أن استبعد عن ولاية العهد ابنه الاكبر هشاما حينما بلغه أنه كان يتمنى موته حتى يرثه . (انظر ليفى بروفنسال : تاريخ ١٩٠/١) .

(٢) لم يرد فى المراجع الاندلسية القديمة شيء عن هذه الوصية التى تعد وثيقة على أعظم جانب من القيمة والخطر ، إذ هى أشبه بدستور للحكم وضعه الامير الحكم لابنه عبد الرحمن . والمؤرخ الوحيد الذى أشار إلى وجودها هو الاستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « دولة الاسلام فى الاندلس » الطبعة الرابعة ، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٤٨ ، إذ نقل هذه الوصية عن مخطوطة « المقتبس » لابن حيان ، القطعة الخاصة بإمارتى الحكم وعبد الرحمن ، وهى قطعة كانت لدى المستشرق الراحل ليفى بروفنسال ، ولم يعرف عنها شيء بعد وفاته ، ويخشى أن تكون هذه القطعة الثمينة قد ضاعت إلى غير رجعة ، ويزيدنا هذا تقديراً لفضل الأستاذ عنان الذى احتفظ لنا بنص تلك الوثيقة ، وقد ذكر فى تعليقه عليها (حاشية رقم ٢) أنها وردت فى مخطوطة ابن حيان بروايتين مختلفتين للرازى ولمعاوية بن هشام الشبينسى ، إلا أنه خلطهما ونسق بينهما ، مما جعلنا لا نعرف الآن على أى =

من سلطانى ، وانبسط منه كيف شئت ، فقد مهّدْتُ لك الملك ، ووطَّأْتُ[(١)] لك الدنيا ، وذلّلْتُ لك الأعداء ، وأمنت عليك الاختلاف والمنازعة ، فأولى الأمور بك وأزيَنُها لك حِفْظُ أهلك ، ومراعاة عشيرتك ، ثم الذين يلونهم من مواليك ، فهم أولياؤك حقا ، وأنصارك صدقاً ، ومشاركوك فى حلوك ومُرِّك ، فبهم أنزل ثقتك ، وإياهم واس من نعمتك ، وإن رأيت فيمن يرتقى من صَنَائِعك[(٢)] رجلا لم تنهض به سابقة ويَشِفَّ بخصلة وتطمح به نفس وهمة فأعنه [١٣ ا] واختبره وقدِّمه واصطنعه ، ولا يريبنَّك خمولُ أوَّليّتِه ، فإن أول كل شرف خارجيّة[(٣)] ، ولا تدعَنَّ مجازاة المحسن بإحسانه ، ومعاقبة المسيء بإساءته ، فإنك عند البَرامك لهذين ووضعك لهما مواضِعَهُما يُرْغَبُ فيك ويُرْهَبُ منك ، ومِلاكُ ذلك كله أن تَتَّقِيَ الله ما استطعت وتعدل فى أحكامك ، وتتخير من حُكّامِك ، وإلى الله أكلك وإياه[(٤)] أستحفظك ، فقد هان الموت على إذ خلفنى مثلك .

= رواية من الروايتين اعتمد مؤلف «الزهرات» ، وعلى كل حال فإن التشابه بين نص «الزهرات» والنص الذى أورده الأستاذ عنان يؤكد صحة هذه الوثيقة وكونها منقولة عن أصل قديم ثابت ، لعله « المقتبس » لابن حيان .

(١) فى ب : ووطدت .

(٢) فى ب : صنعائك .

(٣) الخارجى هو الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم . قال كثير عزة :

أبا مروان لست بخارجى   وليس قديم مجدك بانتحال

والخارجية هى الخيل التى لا عرق لها فى الجودة فتخرج سوابق . (انظر لسان العرب تحت المادة) ، فمعنى الخارجية هنا السبق والبروز بغير قديم .

هذا وقد اتبع عبد الرحمن بن الحكم ذلك المبدأ الذى وصاه به أبوه : مبدأ اصطناع بعض الرجال دون نظر إلى خمول أوليتهم ، مما نرى له شاهداً فى فعله بمحمد بن سعيد الزجالى (انظر ترجمة الزجالى فى القطعة التى نشرناها من «المقتبس» لابن حيان ، ص ٣٢ وما بعدها) .

(٤) « أكلك وإياه » ناقصتان فى ب .

الزهرة الرابعة والتسعون :

لما حضرت الوفاةُ عُمَرَ بن عبد العزيز رضى الله عنه قال[١] : أُدْعُ لِي بَنِيَّ . فدعاهم وكانوا اثنى عشر ، فلما نظر إليهم دَمَعَتْ عيناهُ وقال : يا بَنِيّ ، بأبى[٢] مَنْ أتركُهُمْ فُقَرَاء ! فقال له مَسْلَمَةُ بن عبد الملك : وما يمنعك أن تُغْنِيَهُمْ ؟ فوالله لا يرد ذلك بعدك أحد ! فقال له : يامسلمة ، ما كنت تَحَرَّيْتُ فيه[٣] فى الدنيا ، أفأَصْلَى به فى الآخرة ؟ بَنِيَّ رجلان : إما طائع وإما عاص ، فإن يكن طائعاً فالله يرزقُهُ من حيث لا يحتسب ، وإن يكن عاصياً فلستُ أعينُ على عصيانه . ثم قال لهم : يا بَنِيّ ، أترضَوْنَ أن تكونوا أغنياء فى الدنيا ويدخُلَ أبوكُمُ النارَ على ذلك فى الآخرة غداً[٤] ؟ قالوا : لا ! قال لهم : أرجو ألا تَلْقَوْ[٥] امرءاً[٦] إلا وهو مُحِبٌّ فيكم لأنه ما ناله أبوكم بِشَرّ ، اذهبوا عصمكم الله ، رزقكم الله ، لا أفقركم الله . فلَمْ يُرَ أحدٌ من ذُرِّيَّته وهو فقيرٌ قَطُّ .

الزهرة الخامسة والتسعون :

وَقَّعَ المعتصم بالله أبو يحيى بن معن بن صُمادِحَ التُّجِيبِيُّ صاحبُ المرِيَّة[٧]

(١) ورد مثل هذا الخبر فى العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/٤٣٩ – ٤٤٠) مع بعض الفروق ، إذ لم يرد فيه ذكر للحوار بين عمر ومسلمة بن عبد الملك . وكذلك فى كتاب « الوصايا » لأبى حاتم السجستانى ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٢) فى ا : بأبى تركتهم ، وفى ب : من أتركهم .

(٣) فى ا : به . والمقصود ما كنت تحرجت فيه .

(٤) « غدا » ناقصة فى ب .

(٥) فى ا : أرجو أنكم لا تلقون امرءاً .

(٦) فى الخبر الوارد فى العقد (٤/٤٤٠) : « إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله » .

(٧) أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح من ملوك الطوائف صاحب مدينة المرية ، حكمها بعد وفاة أبيه سنة ٤٤٣ (١٠٥١ – ١٠٥٢) حتى دخول المرابطين عليه بلده فى ٤٨٤ (١٠٩١) . =

فى رُقْعَةٍ من ألحَّ عليه فى المزيد من أَوْغَالِ[١] الجند المرتزقين من ديوانه[٢] : «أنتم عالة لا آلة ، ومئونة لا معونة ، و « إنما نُطْعِمُكُمْ لوجه الله لا نريد منكم جَزَاءً ولا شُكُوراً[٣] » » .

ووقع الخليفة الناصر عبد الرحمن بن محمد على كتاب عُثِرَ عليه بقرطبة دَسَّهُ إلى حضرته أميرُ إفريقيَّةَ مَعَدُّ بن إسماعيل الشِّيعيُّ[٤] إذ كانت بينهما منافَرَةٌ وعداوة أفحَش فيه السب وأكثر الذَّمَّ : « يا هذا ، عرفتنا فَسَبَبْتَنَا ، وجهلناك نحن فأمسكنا عنك » لم يَزِدْهُ على هذه كلمة واحدة[٥] . قيل :

= انظر فى أخباره كتاب التبيان (مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين) تحقيق ليفى بروفنسال (فى مواضع عديدة . راجع الفهرس) ؛ ابن خاقان : قلائد العقيان ص ٤٧ — ٥١ ؛ عبد الواحد المراكشى : المعجب ص ١٣٥ — ١٣٧ ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ٢ / ٧٨ — ٨٨ ؛ ابن سعيد : المغرب ٢/١٩٥ — ١٩٨ ؛ ابن بسام : الذخيرة ق ١ — ٢/٢٢٦ — ٢٤٢ ؛ ابن دحية : المطرب ص ٣٤ — ٣٨ ؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ٤/١٣١ — ١٣٦ ؛ ابن عذارى : البيان ٣/١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٩٠ — ١٩٢ ؛ المقرى : نفح (فى مواضع عديدة ولا سيما فى المجلد الثالث) ؛ وانظر برتو إى فيفى : ملوك الطوائف Prieto y Vives: *Los reyes de Taifas*, Madrid, 1926, pp. 61-62.

(١) جمع وغل (بفتحة فسكون) والوغل هو الضعيف الساقط المقصر فى الأشياء .

(٢) يتفق هذا الخبر فى دلالته مع ما يلح عليه المؤرخون من إخلاد المعتصم بن صمادح إلى الدعة وعزوفه عما نشب فيه أمثاله من ملوك الطوائف من فتن وحروب .

(٣) القرآن الكريم ، سورة الإنسان ، آية رقم ٩ .

(٤) هو المعز لدين الله الفاطمى رابع الخلفاء الفاطميين ولد بالمهدية سنة ٣١٨ أو ٣١٩ (٩٣٠ — ٩٣١) ، وولى الخلافة بعد موت أبيه سنة ٣٤١ (٩٥٢) ودخلت جيوشه مصر بقيادة جوهر الصقلى سنة ٣٥٨ (٩٦٩) وانتقل هو إلى مصر بعد ذلك فى ٣٦٢ ، وفيها توفى سنة ٣٦٥ (٩٧٥) .

(٥) أورد المقرى فى النفح (٣/٥٥٨) والثعالبى (يتيمة الدهر ، نشر الشيخ محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٦ ، ١/٣١٠) كتاباً شبيهاً بهذا : «أما بعد ، فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك » إلا أنه نسبه إلى «المروانى صاحب الأندلس» دون تحديد إلى «نزار العبيدى» ، ونزار هذا هو الخليفة الفاطمى العزيز بالله بن المعز ، ولو صح ذلك فلابد أن يكون الخليفة المروانى المشار إليه هو الحكم المستنصر لا عبد الرحمن الناصر ، كما جاء فى الخبر هنا . ويبدو لنا أن ما ساقه صاحب الزهرات أصح ، لا سيما إذا ذكرنا أن الحكم المستنصر كان مقتنعا بصحة نسب الفاطميين ، بل إنه سجل ذلك فى تأليف له حول أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب (انظر ابن عذارى : البيان ١/١٥٨ وانظر دراستنا عن « التشيع فى الأندلس » ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الثانى ١٩٥٤ ص ١٢٥) .

فكان هذا أبْلَغَ ما كُتِبَ فى معناه ، وفيه إشارة إلى أنَّهُ مُدَّعٍ فى نَسَبِه وأنه مجهول غير معروف ، ومن لا يُعْرَفُ لا تُعْرَفُ مناقِبُه ولا مثالبه .

وَوَقَّعَ [١٣ ب] الأمير ذو الرياسَتَيْنِ عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبى عامر المَعَافِرىُّ (١) فى كتاب ورد عليه من الأمير مجاهد العامرى صاحب دانية (٢) ومولى جِدِّه قال فيه منه (٣) : [من الكامل]

سَبَّتْ نِزَارَ عَبِيدُها فَعَذَرْتُها شِيمُ العبيدِ مَسَبَّـةُ الأحرارِ

ووقع ابراهيم بن العباس الصُّولِىُّ (٤) وزير المتوكِّلِ فى ظهر كتاب ورد من بعض العمال بذم رجل ومدح آخر ، فقال : « إذا كان للمحسن من الحق ما يُقْنِعُه ، وللمسىء من النكال ما يَقْمَعُه ، بذل المحسن الحق عليه رغبة ، وانقاد المسىء للحق عليه رهبة » . قال : فوثب الناس عليه يقبِّلون يَدَيْه .

---

(١) عبد العزيز بن عبد الرحمن (شنجول) بن المنصور بن أبى عامر الملقب بالمنصور ذى السابقتين (لا الرياستين كما جاء فى النص هنا) هو حفيد الحاجب المشهور المنصور بن أبى عامر ، اجتمع على تقديمه صقـالبة شرق الأندلس فى بلنسية فى سنة يضطرب فيها المؤرخون بين ٤١٢ و ٤١٧ (١٠٢١ و ١٠٢٦) . وقد طالت إمارته فى بلنسية حتى ٤٥٢ (أواخر ١٠٦٠ أو أوائل ١٠٦١) انظر ابن عذارى : البيان ٣/١٦٤ — ١٦٥ ؛ ابن الخطيب : أعمال ص ٢٢٤ ؛ وبريتو فيفس : ملوك الطوائف ص ٣٩ — ٤١ .

(٢) أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى أكبر ملوك الطوائف من الموالى الصقالبة العامريين فى شرق الأندلس ، استقل بحكم دانية وجزر البليار منذ الفتنة فى نحو سنة ٤٠٠ (١٠٠٩) ، حتى وفاته فى ٤٣٦ (١٠٤٥) .

(٣) ذكر ابن سعيد (المغرب ٣٣٢/١) والمقرى : نفح (١٣٢/٤) أن مجاهداً كان قد كتب إلى المنصور عبد العزيز رقعة لم يضمنها غير بيت الحطيئة :

دع المكارم لا ترحـل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطـاعم الكاسى

فأغضبته وأقامته وأقعدته حتى حضر وزيره وكاتبه أبو عامر ابن التـاكرنى فكتب عنه :

شتمت مواليهـا عبيد نزار شيم العبيـد شتيمة الأحرار

(٤) ابرهيم بن العبـاس الصولى الكاتب المشهور كتب للمعتصم والواثق والمتوكل عاش بين سنتى ١٧٦ و ٢٤٣ (٧٩٢ — ٨٥٧) . انظر فى ترجمته وآثاره بروكلمان : تاريخ الأدب العربى (الترجمة العربية) ٤٢/٢ — ٤٣ .

ووقع سليمان [169] المستعين (١) بن الحكم بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن بن محمد على كتاب رفعه إليه أبو القاسم بن مُقَدَّمٍ (٢) يشكو إليه ضيق حاله ، وكان معه فى مَحَلتِه فى تحوُّلِه مع البربر بالأندلس بشعر أوله (٣) :

[من بحر الوافر]

أَهَلْ تَرْضَى لعبدِكَ أن يُذَالا وأنْ يبقى على الدُّنيا عِيالاَ

فبعث إليه بصلة وكسوة ووقع على ظهر كتابه : [من الوافر]

معاذَ اللهِ أنْ تبقى عِيالا وأن نرضَى لمثلِكَ أن يُذَالا
وكيف وأنت مُنْقَطِعٌ إلينا وقد عَلِقَتْ يداكَ بنَا حِبَالا
وهاءكَ من نوافِلِنَا يسيراً ولكنَّا انْتَقَيْنَاهُ حَلالا

ووقع زاوى بن زيرى بن مَنَاد الصِّنهاجِىُّ (٤) كَبْشُ الحروبِ ومُهَوِّنُ الكروب على رقعة خاطبه بها المرْتَضَى بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر بن محمد (٥) لما نزل عليه بحضرة غَرْنَاطَةَ بالعساكر الكثيرة والجنود الوافرة من الموالى العامريين وغيرهم من أمراء الأندلس ووجوهها ومن كان

---

(١) سليمان المستعين من خلفاء الفتنة البربرية ثار فى سنة ٤٠٠ (١٠١٠) على محمد بن هشام المهدى ونشبت بين الفريقين حروب هائلة تداولا فيها الخلافة حتى قتل سليمان على يد على بن حمود الحسنى سنة ٤٠٧ (١٠١٦) .

(٢) فى الحلة السيراء (٢/١١) : . . . بن مقدام ، ولقبه هناك بالقاضى .

(٣) ورد الخبر والأبيات كما سبق أن ذكرنا فى الحلة السيراء لابن الأبار ٢/١١ — ١٢

(٤) عن زاوى بن زيرى الصنهاجى انظر ما سبق أن كتبناه فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٠

(٥) عبد الرحمن بن محمد المروانى الملقب بالمرتضى . كان قد لجأ فى سنوات الفتنة البربرية إلى بلنسية حيث قام بأمره خيران العامرى صاحب المرية ومنذر بن يحيي التجيبى صاحب سرقسطة فى سنة ٤٠٧ (١٠١٧) . وفى العاشر من ذى الحجة سنة ٤٠٨ (٢٩ ابريل ١٠١٨) بايعاه على الخلافة وجمعا له جيشا كبيراً انضم إليه بعض الافرنج (من قومسية برشلونة) وساروا إلى قرطبة لمحاربة الخليفة العلوى بها القاسم بن حمود الحسنى . إلا أن المرتضى عرج بمشورة منذر وخيران على غرناطة قبل قرطبة لمحاربة البربر بها . وكان على غرناطة زاوى بن زيرى الصنهاجى ، فخرج الصنهاجيون فأوقعوا به هزيمة منكرة قتل فيها ومزق جيشه وذلك فى سنة ٤٠٩ . انظر ليفى بروفنسال : تاريخ ٢/٣٢٨— ٣٣١ والمراجع المذكورة .

معهم من النَّصَارَى الإفْرَنْجِيّين يَدْعُوه فيها إلى الطاعة ويُجْمِلُ مَوْعِدَهُ إن فاء إليها . فوقع زاوى على ظهر رقعته : «قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون . . . إلى آخر السورة » (١) ؛ فلما بلغت المرتضى أعاد عليه كتاب وعيد وتهديد ، فلمَّا قَرَأَهُ زاوى بن زيرى وقع على ظهره : « ألهاكُمُ التكاثُرُ ، حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون (٢) » لم يزدهم [١١٤ ا] على هذا شيئاً ؛ فازداد المرتضى غيظاً ، وناشبه القتال ، فاقتتلوا أياماً خارج غرناطة ، وزاوى يُحْكِمُ التَّدْبيرَ والمقدارُ يساعدُه إلى أن انهزم عسكر المرتضى وكان فيه وجوهُ الأندلس وجُلُّ أمرائها ، فطاروا على وجوههم مُسْلِمُوهُمْ وإفْرَنْجُهُمْ لا يلوى أحدٌ على أحد ، وصُرِعَ المرتضى [170] فى ضَنْكِ تلك المضـــايق ، وهو يروم الفرار إلى وادى آش (٣) ، ووقع البرابر من صنهاجة ومن كان معهم بغرناطة من نهب تلك المحلات على ما لا كِفاءَ له اتساعاً وكثرة ، وحِيزَتْ فساطيطُ الأمراء ومضارب الرؤساء التى كانوا يتباهون بها إذ كانوا قد تَنَاغَوْا (٤) فى المباهاة ، وجاءوا مجىء من لا يشكُّ فى الظفر ، فساقوا مع أنفسهم رفيعَ الحلية وفاخرَ الزينةِ وفى أَشَكِّ (٥) العُدَّةِ وأوفى العَدَدِ . وأول من انحاز من العسكر منذرُ بنُ يحيى التُجِيبىُّ صاحب بلنسية ودانية (٦) ، ثم

---

(١) سورة الكافرون . هذا وقد ورد ذكر هذه المكاتبة فى ابن بسام : الذخيرة ق ١ . ٣٩٧/١ــ٣٩٨ (نقلا عن ابن حيان) وفى البيان المغرب ١٢٥/٣ــ١٢٦ ، وفى الإحاطة لابن الخطيب (ط. عنان) ٥٢٤/١ ؛ وقد ورد توقيع زيرى الثانى فقط فى كتاب التبيان (مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين) ص ٢٢ــ٢٣ .

(٢) سورة التكاثر .

(٣) وادى آش Guadix تقع على مسافة ٥٣ كم . شمال شرقى غرناطة . انظر دائرة المعارف الإسلامية (١٨٩/٢ ، مادة بقلم زايبولد) .

(٤) فى ا : تناهوا ، وفى ب كما أثبتنا ، وهو أجود ومعناه تنافسوا .

(٥) فى ا : أشد .

(٦) أخطأ المؤلف هنا إذ ذكر أن منذر بن يحيى كان صاحب بلنسية ودانية ، وإنما كان صاحب سرقسطة والثغر الأعلى . وكان منذر واليا على تطيلة أولا فى سنة ٣٩٦ (١٠٠٥ ــ ١٠٠٦) فى أيام عبد الملك المظفر بن المنصور العامرى . ثم عهد إليه سليمان بن الحكم المستعين بولاية سرقسطة =

انقلع بعده الأمير خيران العامرى صاحب المرية ثم انتقل بعده (١) الأمير سليمانُ بنُ هُودَ الجُذَامِيُّ صاحب سرقسطة والثغر الأعلى (٢) بمن كان معه من الناس ومن مَدَدِ الفِرَنْجَة ؛ وصبر العامريون حول المرتضى قليلا حتى استحرَّ القتل فيهم وصُرِع كثيرٌ ؛ وجرت بهذه الوقيعة (٣) على جماعة الأندلس مصيبة أنست ما قبلها ، ولم يجتمع لهم جمع بعد ، وأَقَرُّوا بالإدبار ، وباءوا بالصَّغارِ ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

الزهرة السادسة والتسعون :

حكى أن شقيقاً البَلْخِيّ (٤) قال يوما لحاتم (٥) : منذ كم صحبتنى يا حاتم ؟ قال : منذ ثلاث وثلاثين سنة . قال شقيق : فماذا تَعَلَّمْتَ منى فى هذه المدة ؟

= سنة ٤٠٠ ، وبقى حاكما للثغر الأعلى كله حتى وفاته سنة ٤١٢ (١٠٢١—١٠٢٢) . (انظر العذرى : جغرافية ص ٤٨) . أما بلنسية فى ذلك الوقت فقد كانت تحت حكم الخصيين الصقلبيين مبارك ومظفر العامريين ، وأما دانية فقد كانت تحت حكم مجاهد بن عبد الله العامرى .

(١) من « الأمير خيران» حتى « . . . بعده» ناقص فى ب .

(٢) لم يكن سليمان بن هود الجذامى فى ذلك الوقت أميراً على سرقسطة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فى الحاشية السابقة ، بل كانت إمارته لا تتجاوز لاردة وتطيلة من مدن الثغر الأعلى ، وكان تابعاً لمنذر التجيبى . وقد طال عمره حتى إذا قتل منذر بن يحى بن منذر صاحب سرقسطة والثغر فى سنة ٤٣٠ (١٠٣٨) دخل سليمان سرقسطة وآل إليه حكم الثغر الأعلى كله ، وأسس فيه دولة بنى هود التى ظلت تحكم هذه الجهة حتى سقوط سرقسطة فى يد الملك النصرانى الأذفونش (ألفونسو الملقب بالمحارب ، ملك أرغون) سنة ٥١٢ (١١١٨) .

(٣) فى ا : الواقعة .

(٤) أبو على شقيق بن ابرهم الأزدى البلخى صاحب ابرهيم بن أدهم ، من أكبر مشايخ الصوفية . توفى سنة ١٥٣ (٧٧٠) . انظر ترجمته فى طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ، بتحقيق الأستاذ نور الدين شريبة ، ص ٦١ — ٦٦ ، ٩١ والمراجع المذكورة فى حاشية ذلك الموضع .

(٥) هو أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان الأصم البلخى ، أحد من اشتهروا بالزهد والورع وله كلام مدون فى التصوف . أخذ عن شقيق البلخى وقدم بغداد فى أيام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١/٨٥٥) واجتمع به (انظر السلمى : طبقات الصوفية ص ٦١ ، ٦٣ ، ٩١—٩٧ ، ١٠٣ ، ١٤٦ والمراجع المذكورة هناك . وانظر بصفة خاصة تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ترجمة رقم ٤٣٤٥ — ٢٤١/٨ — ٢٤٥) . أما الخبر الوارد هنا فقد جاء فى حلية الأولياء لأبى نعيم الإصبهانى (٧٩/٨ — ٨٠) ولكن بتفاصيل مختلفة بعض الاختلاف . فعدد المسائل فى الحلية ست بدلا من الثمان التى جاءت فى الزهرات .

فقال : ثمان مسائل . فقال شقيق : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب عمرى معك يا حاتم ! فقال : يا سيدى ، ما تعلَّمْتُ غيرها ولا أُحِبُّ الكذِب ! فقال شقيق : اذكُرْ هذه المسائل حتى أسمعها . فقال حاتم : نعم يا سيدى . إنى نظرت فرأيتُ كل واحد من هذا الخلق يُحِبُّ محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر ، فإذا وصل إلى القبر فارق محبوبه ، فجعلت [171] الحسنات محبوبى فإذا دخلت قبرى دخل معى محبوبى . قال : أحسنت يا حاتم ، فما الثانية ؟ قال : نظرت فى قول الله عز وجل « وأما من خاف مقام رَبِّهِ وَنَهَى [١٤ ب] النفس عن الهوى ، فإنَّ الجَنَّةَ هى المأوَى[١] » فعلمت أنه الحق ، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى اسْتَقَرَّتْ على طاعة الله تعالى . قال : أحسنت يا حاتم ، فما الثالثة ؟ قال : نظرت إلى هذا الخلق ، فرأيت كلَّ مَنْ عندَه شىء له خَطَرٌ يحفظُهُ ويبخل به ، فرأيت الله تعالى يقول « ما عندكم ينفَدُ وما عند الله باقٍ[٢] » فخرجت عما وقع إلى من ذلك ابتغاء ثواب الله . قال : أحسنت يا حاتم ، فما الرابعة ؟ قال : رأيت كل واحد من هذا الخلق يَرْجِعُ إلى حَسَبٍ ونَسَبٍ ، فرأيت الله تعالى يقول « إن أكرَمَكُمْ عند الله أتقاكم[٣] » فأعْمَلْتُ نفسى فى التَّقْوَى حتى أكون عند الله كريماً . فقال : أحسنت يا حاتم ، فما الخامسة ؟ قال : رأيت هذا الخلق يَطْغَى بعضُهُمْ على بعض ، ويلعن بعضهم بعضاً ، وأصل هذا الحسد كله ، فَرَأَيْتُ الحسَدَ[٤] واجْتَنَبْتُ الخلق ، وعلمت أن القِسَمَ من عند الله تعالى . قال : أحسنت يا حاتم ، فما السادسة ؟ [قال :][٥] رأيت هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل

---

(١) سورة النازعات ، آية رقم ٤٠ .
(٢) سورة النحل ، آية رقم ٩٦ .
(٣) سورة الحجرات ، آية رقم ١٣ .
(٤) كذا ، ولا معنى لها ، وربما كان الصواب « فرميت » ، أو « فطرحت الحسد » وهكذا جاء فى حلية الأولياء (٨/٨٠) .
(٥) زيادة يقتضيها السياق .

بعضهم بعضاً ، فرأيت الله تعالى يقول « إن الشيطان لكم عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً [(١)] » فعادَيْتُه وَحْدَهُ واجتهدت فى أَخْذِ حِذْرِى منه ، لأن الله تعالى قد شهد عليه بالعداوة ، فتركت عداوة الخلق . قال : أحسنت يا حاتم ، فما السابعة ؟ قال : رأيت كل واحد من هذا الخلق يطلب هذه الكِسْرَةَ ، فيبذُلُ نفسَهُ ويدخل فيما لا يَحلُّ ، فرأيت الله تعالى يقول « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رِزْقُهَا [(٢)] » فعلمت أنى أحد من هذهِ الدَّوَابِّ التى على الله رزقها ، [172] فاشتغلت بما لله علىَّ وتركت مالى عنده . فقال : أحسنت يا حاتم ، فما الثامنة ؟ قال : رأيت هذا الخلق متوكِّلِينَ هذا على صَنْعَتِه وهذا على تجارته وكل مخلوق متوكِّلٌ على مخلوق ، ورأيت الله تعالى يقول « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على الله فهو حَسْبُه [(٣)] » فتوكلت على الله فهو حسبى . فقال شقيق : يا حاتم ، وفقك الله ، فإنى نظرت فى علم التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والزَّبُورِ والفُرْقَانِ ، فرأيته يدور على هذه المسائل ، فمنِ اُسْتَعْمَلَها فقد استكمل الكتب الأربعة .

الزهرة السابعة والتسعون :

حُكِىَ عن مَعْرُوفٍ الكَرْخِىِّ [(٤)] أنه جلس يوماً على شاطىء دجلة وحوله جماعة [١٥ ا] من تلامذته إذ نظروا إلى قوم [(٥)] بإزائِهِمْ يتغَنَّوْنَ بالعُودِ ، ويتعاطَوْنَ

---

(١) سورة فاطر ، آية رقم ٦ .
(٢) سورة هود ، آية رقم ٦ .
(٣) سورة الطلاق ، آية رقم ٣ .
(٤) أبو محفوظ معروف بن الفيرزان أو فيروز الكرخى (نسبة إلى كرخ بغداد) . كان أحد مشاهير الزهاد والصوفية . توفى سنة ٢٠٠ (٨١٥ — ٨١٦) كما ذكر الخطيب البغدادى أو بعدها بقليل . انظر ترجمته فى تاريخ بغداد رقم ٧١٧٧ ، ١٣/١٩٩ — ٢٠٩ ؛ السلمى : طبقات الصوفية ص ٨٣ — ٩٠ ؛ حلية الأولياء ٨/٣٦٠ — ٣٦٨ ؛ والمراجع الأخرى المذكورة فى حاشية هذا الموضع من نشرة شريبة لطبقات الصوفية .
(٥) فى ب : قومهم ، وقد اخترنا القراءة الواردة فى ا .

ماءَ العنقودِ . فقالوا : أيها الأستاذ ، أما ترى اجتراءَ هؤلاء على الله ؟ اُدْعُ الله عليهم . فقال معروف : اللهُمَّ كما فرَّحْتَهُمْ فى الدنيا فَفَرِّحْهُمْ فى الآخرة . فقالوا : سألناك أن تدعُوَ عليهم فدعوت لهم ! قال : نعم ، إنه إن فَرَّحَهُمْ فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا .

الزهرة الثامنة والتسعون :

خرج الحسن بن عليٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه ذات ليلة ، فنظر إلى النجوم تُزْهِرُ ، فحمد الله وسَبَّحَ واعْتَبَر ، ثم قال فى آخر كلامه : اللهم لا تُحْوِجْنِى إلى أحـد من خلقك ! فسمعه أبوه رضى الله عنه ، فقال : تطلب من الله شيئاً لم يُعْطِهُ الصَّفْوَةُ من أنبيـائه ؟ إنما قل : اللهم لَيِّنْ لى قلوب عبادك .

الزهرة التاسعة والتسعون :

كان سعدُ بن عُبَـادَةَ (١) رضى الله عنه يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنه لا شَرَفَ [173] إلا بِفَعَالٍ ، ولا فعال إلا بمال ، ولا مال إلا من رزقك ، فارزقنى من فضلك رزقـاً كثيراً طيباً واسعاً (٢) مباركاً فيه تبلغنى به شرف الدنيـا والآخرة (٣) .

---

(١) اقتباس المؤلف هنا شيئاً من كلام الصحابى المعروف سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى وهو يشرف على الانتهاء من كتابه يرجع إلى التبرك بذكر هذا الصحابى الجليل الذى كان ملوك بنى الأحمر الغرناطيون ينحدرون من نسله كما هو معروف وسوف يكرر المؤلف فى خاتمة الكتاب إشارة إلى ذلك فى حديثه عن السلطان محمد الغنى بالله إذ سيطلق عليه لقب « سلالة سيد الأنصار » .

(٢) هذه الكلمة ناقصة فى ب .

(٣) وجدنا شبيهاً بهذا الدعاء ، إلا أنه جاء منسوباً إلى أحد الأعراب عند الكعبة . وهذا نصه كما نص عليه ابن عبد ربه فى العقد الفريد (٣/٤٢٣) : « اللهم لا شرف إلا بفعال ولا فعال إلا بمال ، فأعطنى ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة » .

الزهرة المائة :

قيل لأعرابي : أتحسن أن تدعُوَ ربك ؟ قال نعم . قيل : فادْعُ . فقال : اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك ، فلا تَحْرِمْنَا الجَنَّةَ ونحن نَسْأَلُكَ .

* * *

فنسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، ألاَّ يحرِمْنَا الجنة ونحن قد سألناه (١) ، ورجوْنا فضله وأَمَّلْنَاه (٢) ، كما لم يحرمنا فى هذه الجزيرة الأندلسية جَنَّةَ الدنيا وسوغنا فيها رفاهية العيش وطيب المَحْيَا ، فمصرنا والحمد لله هو قيروان الأمصار ، وعصرنا فيه بفضل الله هو خير الأعصار ، وطاعتنا فيه مُفْتَرَضَةٌ علينا ونِعْمَ الافْتِخَارُ ، لسلالة سيد الأنصار ، فالخيرات عندنا موفورة ، والأرزاق مُسْتَدِرَّة (٣) ، والمِنَّةُ (٤) دائمة بحول الله ومُسْتَمِرَّة ، وكلمة الإسلام فيها ثابتة إلى يوم الدين ومُسْتَقِرَّة ، ورعيتها فاقت (٥) رعايا الملوك فى الثراء والسعة ، واغتبطت بالاسْتِذْرَاء فى كنف الأمن (٦) والدعة ، فَفَشَتِ العِمَارَةُ ، وحَسُنَتِ الشَّارَةُ ، ونَمَتِ المكاسِبُ ، وفَرُهَتِ (٧) المَرَاكِبُ ، وعزت الجوانب ، وتَرَتَّبَتِ المراتِبُ ، وأُجْزِلَتِ المواهب ، وخَفَّتِ (٨) النَّوائِبُ ، وتألَّفَتْ على

---

(١) فى ب : أرسلنا .
(٢) فى ب : وأملنا .
(٣) كذا فى ا ، وفى ب : مستورة ، والأول أصح .
(٤) فى ا : والأمانة ، وما جاء فى ب أصح .
(٥) فى ا : أفاقت .
(٦) هاتان الكلمتان ناقصتان فى ا .
(٧) فى ا : ومرعت ، والصواب ما ورد فى ب .
(٨) فى ا : وتحدقت .

الطاعة المذاهب ، فحالنا فيها — معشر المسلمين — أحسن الناس حالا ، وأعمهم صلاحاً وأعدلهم سيرة ، وأقلهم جُناحاً ، وزماننا فيها أبهج (١) زمان ، فليس له من ثان ، ووطننا والحمد لله أبعد وطن عن السوء وأَدْفَعُهُ (٢) لِلْحِدْثَان ، وذلك كله بسعادة مُدَبِّرِ شأنِها ومُقِيمِها ، إنسان عين الوجود من إقْلِيمِها ، كافى رأينا (٣) وكافِلُه ، [174] العميمة خيراته ونوافله ، المكابد (٤) فيها بخاصة نفسه لتَيّارِها ، والمدارى بحسن سياسته الناجحة لِطَائِفِ كُفَّارِها ، فها نحن فيها بين (٥) بحر متلاطم الأمواج ، وسِيفِ (٦) عَدُوّ وافر الجموع كثير الأفواج ، وهو حفظة الله (٧) وخلد ملكه يسهر فى مصالحنا ونحن هاجِعون ، ويجهدُ نفسه النفيسَةَ ونحن فى ظل العافية وادعون ، فإلى الله عز وجل نبتهل فى أن يهب لنا من العقول ما نقدِرُ به قَدْرَ سلطانه العزيز ، وأن يُبْقِيَهُ فى الحمى المنيع والحرز الحريز ، وألا يُعْدِمَ منه هذه الكلمة المحَمَّدِيَّةِ جامع شملها ، وحاملها من المناهج القويمة (٨) حَقَّ حَمْلِها .

اللهم إن الدعاء لأمير المؤمنين (٩) ، وخليفة رب العالمين ، فرض على جميع المسلمين ، فأَقِرّ عَيْنَهُ فى الأهل والملك والأحفاد والبَنِينَ . اللهم أَوْزِعْنَا شُكْرَ ما أنعمت به علينا من يمن خلافته العادلة ، وتول جزاءه عنا ، وهب له من

(١) فى ا : أنجح .
(٢) فى ب : وأبعده ، وفى ا : وأرفمه ، ولعلها محرفة عما أثبتنا .
(٣) فى ا : السماء ، وفى ب : رأسنا ، ولعلها محرفة عما أثبتنا .
(٤) فى ا : الكابد .
(٥) فى ا : من .
(٦) فى ا : وبين . والأصح ما ورد فى ب والسيف بكسر السين هو الشاطىء .
(٧) فى ا : مكان حفظه الله : أبقاه .
(٨) فى ب : القوية .
(٩) لا نعرف أن بنى الأحمر كانوا يتسمون بإمرة المؤمنين ولا بالخلافة ، بل المعروف أنهم كانوا يكتفون بالتسمى بلقب «أمير المسلمين» . وإنما يستخدم المؤلف هنا تلك الألقاب على سبيل التجوز .

إحسانك العميم ، وطولك الجسيم ، أكثر مما يختار وفوق ما يتمنى ، وخَوِّلْهُ من النصر العزيز[١] والسعد الجديد[٢] ما لا يمر بالخواطر تقديراً ولا ظناً . اللهم وأَصْحِبْ رِكابه العالى العصمة والسلامة أى جهة قصد وَيَمَّمَ ، ويسر أموره حيثما كان وأينما خيم . اللهم إن جميع النفوس تستبشر بمشاهَدَةِ مَقَامِهِ الرفيع وتستشرِفُ إلى لُقْيَاهُ ، فلا تحرمنا النظر إلى رؤية وجهه السعيد وبهجة محياه . إنك منتهى الرغائب .

انتهى بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم فى أواخر ربيع النبوى سنة ست وسبعين وألف م

الدكتور محمود على مكى
أستاذ بكلية الآداب . جامعة القاهرة

---

(١) فى ب : المزيد ، وقد أثبتنا ما ورد فى ا .
(٢) ينقطع النص فى ا ابتداء من هنا .